منهج جديد في صياغة الشعر العربي

إنَّ الحياة تمثلت
صُوَرًا تراها العين كالظلِّ
وكأنّ ما يجري بعالمنا
هديًا للعين أبصرتُ
وتفصِّل الآيات من كلٍّ
صُوَرٌ تدورُ بمسرح الظلِّ

ملحمة كليلة ودمنة

للشاعر

مصطفى الصباد

أول عمل رائد في تاريخ الشعر العربي
إلتزام ببحر واحد بضروبه المتعددة



منهج جديد في صياغة الشعر العربي

إن الحياة تمثلت
صور تراها العين كالظل
وكأن ما يجري بعالمنا

هديا العين أبصرت
وتفصل الآيات من كل
صور تدور بمسرح الظل

ملحمة
كليلة ودمنة

للشاعر

مصطفى الصياد

أول عمل رائد في تاريخ الشعر العربي
الالتزام ببحر واحد بضروبه المتعددة

بســـم الله الرحـــمن الرحيـــم

تـقديـم (١)

للعلامـة الدكتـور زكـى نجيـب محمـود

أدب علـى أدب

قطعة الذهب تعمل هى قطعة الذهب . كيفما شكلتها أيدى الصائغين . فصائغ يصوغها حلية للصدر ، وصائغ يجعل منها حلية للمعصم . وثالث يخرجها أقراطا وخواتم ، وتبقى هى قطعة الذهب التى كانت . مهما تعاقبت عليها أصابع الفن ، لا ، بل انها لتزداد بهاء إذا ما تصاعدت مع الزمن مهارات المبدعين ، وكان هذا هو الذى حدث لجوهرة أبدعتها قريحة من الهند ، وترجمتها قدرة من العرب ، ثم تناولها فى مصر من نظمها عقدا حباته لؤلؤات من الشعر ، فى الهند قد أنشئت حكايات «كليلة ودمنه» وفى البصرة ترجمها ابن المقفع فى بيان عربى أصفى ما يكون البيان وأنقى ، وفى القاهرة اليوم التقط شاعر مصرى حكاية من تلك الحكايات . هى حكاية «الأسد والثور» فأجراها شعرا على نحو فريد ، وهذا الشاعر هو الأستاذ مصطفى الصـياد .

إن قضية القضايا الثقافيه فى حياتنا اليوم ، هى قضية التراث العربى وماذا يكون موقفنا إزاءه ، ولقد تعدد الرأى بيننا واختلف ، حتى لتجد النقيضين وما بينهما من درجات الاختلاف ، فهنالك عند أحد الطرفين من التناقض من يودون لو أننا غضضنا البصر عن تراثنا غضا كاملا ، كما أن

هنالك عند الطرف الاخر من التناقض من يرون أن ننصرف إلى التراث إحياء ودرسا وحفظا ، حتى لكأننا نحيا مع أسلافنا ، ولم يمض بيننا وبينهم زمن يقاس بمئات السنين ، ثم تدرجت ظلال الرأى بين ذينك الطرفين . من مزيج يأخذ أكثره من القديم وأقله من الجديد . إلى مزيج آخر يأخذ أقله من القديم وأكثره من الجديد . وكأن الأمر فى تكوين الحياة الثقافية لأنفسنا ولشبابنا الذى منه يجىء جيل بعد جيلنا . لا يعدو شيئا يشبه ما يصنعه الصيدلانى يضيف مادة من هنا إلى مادة من هناك ليخرج دواء للمريض .

نعم إن الرأى على ذلك يصطرع مع الرأى ، حتى لقد تمزقنا فى رؤانا الثقافية شعوبا داخل الشعب الواحد ، مع أن المشكلة على جسامتها وشدة خطرها وخطورتها ، تكاد تفرض علينا حلها فرضا ، وهو أن يكون إحياء التراث فى استلهامنا إياه فى الدرجه الأولى ، ثم لك بعد ذلك أن تصنع به ما شئت . فإذا نحن لم نستطع أن نجعل منه مصدر حياة لنا ، ففيم يكون إحياؤه . ثم ماذا يكون معنى « الحياة » فى ذلك الإحياء ؟ إن الاصل فى القراءة المنتجة الفعالة هو أن تحرك فى القارىء مواهبه الفطرية وتوقظها ، صغرت تلك الموهبة أم كبرت ، فلم يخلقنا الذى خلقنا وبرأنا وسوانا . جل جلاله وعظمت حكمته ، لكى نجعل من أنفسنا أوعية خالية ، يملؤها لنا الآخرون بما يشاؤون هم لا بما نشاؤه ، بل خلقنا أحياء لنحيا . والحياة إبداع ، كل بمقدار ما يسعه أن يبدع ، ولا قيد على الإنسان يقيده فى المثيرات التى تحرك فى نفسه كوامنها وقدراتها ، فقد تحفزه إلى ذلك دوافع الطموح نحو كثرة المال أو نحو قوة الجاه . أو ما شاء من صور التفوق .

وكذلك قد تجيء مبدعات السابقين محركة لأصحاب الموهبة نحو إبداع جديد . وفى هذا المجال تجيء مهمة التراث فى إحيائه ، فنحن إنما نحيّيه ، لا لنطالعه ثم نطويه . ولا لنملأ به ذاكرتنا لنباهى بما قد وعت تلك الذاكرات ، كأننا أشرطة صماء إلا عما تعيده على أسماع الناس ، بل نحييه لنحيابه ، وذروة الحياة هى أن نستوحيه فى إبداع جديد ، فيحيا هو بحياتنا ، كما نحيا فيه بحياته .. وهكذا فعل الأستاذ الشاعر مصطفى الصياد ، عندما أقام بديعا من الشعر على بديع موروث من النثر .

أما كيف ومتى تنقدح شرارة الإلهام عندما تلتقى موهبة مبدعة بموهبة سبقتها مبدعة ، فذلك سر من الفطرة البشرية يعلمه علام الغيوب ، وقد يكشف عن بعض جوانبه علماء النفس إذا هم تناولوا ظاهرة الإبداع فى الفن والأدب ، ليردوها إلى قوانين حدوثها ، وحدوثها فى واقع التاريخ الأدبى هو الذى يعنينا فى هذا المقام ، فلا نكاد نلقى نظرة خاطفة على ذلك التاريخ الأدبى ، فى أى بلد نلم بشيء من تاريخه ، وفى أى عصر من عصوره ، حتى تقع الأمثله تحت أبصارنا لنلتقط منها أى عدد شئنا . فأمثلة الأدب الذى يقام على أدب ، والأدب الذى يستلهم ما قد تركه أديب آخر لا عدد لها لنحصره . فأنظر ــ مثلا ــ كيف قرأ أبو العلاء المعرى رسالة لابن القارح ، وردت فيها فقرة عن المعرى وقدراته التى ــ كما ورد فى رسالة ابن القارح ــ كنا لنعدها قدرات معجزة لو كانت منسوبة إلى مبصر ، يستطيع الوصول إلى مصادر اللغة والأدب على كثرتهاوتنوعها ، فكيف بها وقد جاءت من مكفوف البصر ؟ ... قرأ المعرى ذلك ، فما هو إلا أن هم فأبدع رائعته الأدبية « رسالة

الغفران » ليرد بها على ما قد ورد فى رسالة ابن القارح ، ولعلى لا أخطىء التذكر إذا قلت إننى أذكر تعليقا لأحد الباحثين فى تاريخ الأدب العربى ، قال فيه إن أبا العلاء . قد أحس شيئا من السخرية فى عبارة ابن القارح ، فكاله تلك السخرية صاعا بصاعين فى « رسالة الغفران » وإننا لنسأل : كيف انقدحت شرارة الإبداع فى ذلك الموقف ، مع أنه لا علاقة البتة بين مصدر الإلهام من جهة ـ وما قد تولد عنه من جهة أخرى . ثم أنظر فوق ذلك ما هو أعجب . فلقد أثبت علماء التاريخ الأدبى فى الغرب (وفى اسبانيا على وجه التخصيص) أن « دانتى الجبيرى » ذلك الشاعر الرومانى العظيم .كان قد قرأ عن رسالة الغفران لأبى العلاء . فالهمته برائعته « الجحيم » . وها هنا أيضا ، نقرر أن أوجه الشبه بين العملين هى أو هى ما تكون العلاقة عند التشابه . فالفرق بعيد بعيد بين الصورتين . ومرة ثانيه نقول : إن السؤال الذى يهمنا فى هذا السياق هو : كيف أنقدحت شرارة الإلهام فى هذه الظروف . وكيف فعلت فعلها ؟ ولا أظننا نستطيع جوابا كافيا . إلا أن الأمر الأهم عندنا هو أن ذلك الإلهام قد وقع .

وإذا أردت مثلا ثانيا ، فأنقل بصرك إلى شامخ المسرح الشعرى ، ربما فى تاريخ الأدب كله أينما ظهر على الأرض أدب وأدباء ـ وهو شكسبير ، وسوف يأخذك العجب ، حين تقارن بين الطرف الملهم والطرف المستلهم . فلقد كانت « تراجم » بلوتارك (وقد أسماه قدماؤنا « فلوطرخس ») التى قارن فيها عددا من أعلام اليونان القدماء فى مختلف الميادين ، بنظرائهم من أعلام الرومان فى تلك الميادين نفسها ، مصدرا هاما لطائفة من أبطال شكسبير فى مسرحياته . ولك بعد ذلك أن تنظر كيف ولدت بضعة أسطر فى وصف

شخصية معينة عند بلوتارك ــ حياة بأكملها وبكل أعماقها عند شكسبير .

ونضيف مثلا ثالثا ثم نكتفى . فرباعيات الخيام فى أصلها الفارسى ــ ما كانت لتدور حول الأرض بقاراتها الخمس ــ ليرددها الناس بترجماتها المختلفة ــ لولا أن بدأ الطريق الشاعر الإنجليزى « فتزجرولد » فترجمها إلى شعر إنجليزى ، لا كما تترجم النصوص العلميه ، كلمة بكلمة وعبارة بعبارة . بل كما يترجم الأدب ــ والشعر فيه بصفة خاصة ــ وذلك بأن ينطبع المترجم (الذى هو بدوره شاعر فى لغته) بالنص الشعرى الذى يريد ترجمته . ثم يخرج ما قد أنطبعت به نفسه ، فتجىء الترجمة إبداعا شعريا . إنبثق من إبداع شعرى آخر .

ونكتفى بهذه الأمثلة الثلاثة على الأدب البديع كيف يلهمه أدب بديع ، لنعود إلى ما نحن بصدد الحديث عنه . وهو هذه الترجمة الشعرية التى أداها الأستاذ الشاعر مصطفى الصياد ــ لحكاية الأسد والثور ــ كما وردت فى « كليلة ودمنة » التى كانت بدورها ترجمة عن الهندية قام بها ابن المقفع فى القرن الثالث الهجرى ، يروى لنا الشاعر الأستاذ مصطفى الصياد عن لحظة الشرارة الإبداعية فى عمله كيف كانت ومتى جاءت ؟ فيقول إنه فى ذلك الاجتماع الذى التقى فيه طه حسين بمجموعة من الأدباء فى حديقة داره ، وهو اجتماع أشهرته وسائل الإعلام لكثرة ما عرضته على الناس ، وجه طه حسين شيئا من النقد الشكلى لمسرحيات أحمد شوقى الشعريه ، لأنها ــ كما قال ــ لم تلتزم المسرحية الواحدة منها بحرا واحدا ، فلما علق على ذلك بعض الحاضرين بأن التزام بحر واحد خلال مسرحية من بدايتها إلى نهايتها ، هو أمر عسير ، أجاب طه حسين بأن تلك هى مشغلة الشاعر ، ولا شأن للناقد بها ومن تلك

اللمحة النقدية تحركت الموهبة الإبداعيه عند مصطفى الصياد فأخذ من فوره يتأمل الموقف وما يمكن فيه وما يتعذر أو يستحيل . ثم راجع مصادره ليرى على ضوء الواقع التاريخى للشعر العربى ماذا كان فيه وماذا يمكن الآن أن يكون ، فوجد أن التزام البحر الواحد فى العمل المسرحى الكامل ـ مسألة مستطاعة فللبحر الواحد عدة ضروب يمكن اللجوء إليها كلما اختلفت الأحداث وتبدلت المواقف ، وما هو إلا أن تتحرك عزيمته نحو التنفيذ ، فكان أن وقع على موضوع هو باب الأسد والثور فى حكايات «كليلة ودمنة» يعيد مادته فى قالب الشعر . كما وقع على الوسيلة العروضية الملائمة فاختار من بحور الشعر العربى البحر الكامل لأنه أكثر تلك البحور ضروبا ـ إذ ضروبه تسعه .

ولكن لماذا ـ ياترى ـ وقع اختياره على حكاية « الأسد والثور » ليمارس عليها فنه الشعرى ! إننا لا ندرى ذلك على وجه اليقين . إلا أنه اختيار موفق أيا ما كانت أسباب وقوعه . لأن كاتب هذه السطور لا يعرف فيما يعرفه من مراحل الزمن فى تاريخ الشعب المصرى بصفة خاصة ، أو الأمة العربية بصفة عامة ، مرحلة أخرى تنافس هذه الفترة التاريخية الراهنة التى نجتازها ، فى مجافاة الأفراد بعضهم لبعض داخل الشعب الواحد ، ثم فى مجافاة الشعوب بعضها لبعض داخل الأمة العربية ، على أن ذلك التجافى بكل ما فيه من نكر خبيث ـ فأشد منه نكرا وخبثا ما يتستر وراءه من روح الخيانة والغدر والنفاق وعدم الوفاء بالعهد والكذب المتعمد ، وتدبير الوقيعة تدبيرا مقصودا ومتعمدا ، والحنث فى اليمين ، وغير ذلك مما يمزق الروابط ـ ولقد تمزقت بالفعل تلك الروابط ، حتى بين ذوى القربى . أما لماذا حدث هذا كله فى مجتمع كان هو معلم الدنيا بأسرها كيف تكون الروابط الإنسانية فى دفئها

وصفائها ، وماذا تكون قيم التعامل بين إنسان وإنسان إذا استقامت بها الحياة وطابت وسائلها وحسنت أهدافها . فليس هذا مكان القول المفصل فى أصوله وفروعه ، وحسبنا أن نذكر هنا أن اختيار الشاعر لحكاية « الأسد والثور » بما تصوره من غدر يقع بين أخوين ـ أو بين زميلين ـ أو ـ وهو أدهاها وأمرها ـ بين صديقين ، قد جاء اختيارا موفقا ليجىء قصيده مرآة تعكس واقعه الحى كما يحياه الناس .

وبقى أن نقول تذكيرا للقارىء . إنه إذا ما كان هذا القص الشعرى ترجمة لحكاية « الأسد والثور » فى كليلة ودمنة ، فلنتذكر كيف تكون ترجمات الشعراء لما يترجمونه فى شعرهم . فليس الشاعر فى عمل كهذا مقيدا بالأصل إلا فى رؤوس المعالم ـ وأما التفصيلات ـ فهو فيها حر ، يضيف ويحذف ، ويفيض ويوجز ، كما توجهه موهبته الفنية . ولقد ضربنا لك مثلا فى ذلك ترجمة الفتزجرولد لرباعيات الخيام شعرا انجليزيا ، وكان يمكن أن نضيف الترجمات الشعرية الكبرى للمحمة « الإلياذه » للشاعر اليونانى القديم هوميروس كترجمة الكساندر بوب وترجمة تشابمان والترجمة العربية للبستانى فنى كل منها كان الشاعر المترجم شاعرا أكثر منه مترجما بالمعنى الضيق لكلمة ترجمه .

ولتكن لنا من هذة السطور القليلة تحية للشاعر الأستاذ مصطفى الصياد وتقديرا لهذا العمل الشعرى الذى نقدمه إلى قراء العربية فى هذا الكتاب .

الجيزه فى ٢٣ يناير سنه ١٩٨٧ م

﴿ زكى نجيب محمود ﴾

تقديـم (٢)

لـشاعـر السعودية

الأديـب العلامـة الشيـخ عبد الله محـمد بن خميس

عضـو مجمع اللغه العربيـة بالقـاهرة

وعضـو المجمع اللغـوى ببغـداد

الأستاذ الفنان القانونى مصطفى الصياد علم من أعلام العلم والفن والشعر ، متعدد جوانب الشخصية ، يعطى فى جانب من الجوانب فتظنه جانبه الأوحد وسبيله الذى لا سبيل له سواه ولكنك حينما تنتقل إلى جانب آخر تجد نفس الشخصية ونفس البروز ونفس العطاء ، ونفس التجويد ، وهكذا شخصية الأعلام ـ تجدها معك أينما يممت وأينما اتجهت ورغم أنه شخصية قانونية ومحامى ناجح وقد أمضى فى هذا الميدان جل عمره وتنقل فى عدة وظائف قانونية كلها تشير إلى نجاحه وتبريزه وتفننه ـ رغم هذا فقد طرق جانب الأدب ـ بل جانب الشعر الذى لا يتأتى إلا لخبير فيه (طب به) عارف بدروبه وأحواله وأشكاله ـ فالشعر شموسى لا ينقاد إلا لمن أعطاه كله وبذل فيه من وقته وجهده وتحصيله أزمنة كثيره ...

أقول رغم هذا فقد وجدته حينما طرق هذا الفن أجاد وأفاد ، وأبدع وأمتع وأعطى ، وانتقى وحلق وتأنق ، وليس هذا الشعر الذى طرقه مما يؤخذ على رؤوس الثمام ويتصيده كل متصيد بل هو يطرق

جانبا حساسا دقيقا يحتاج منه إلى تفكير وتدبر وتمعن .

إن التعبير بلغة الحيوان حينما طرقه صاحب كليلة ودمنة طرقه فأجاد ولكنه ناثر والنثر أسهل وأطوع من الشعر فقد تفنن صاحب كليلة ودمنة وتأنق وتكلم على لسان الحيوانات كلاما هو فى حقيقته رمز ولكنه فى واقعه علاج لما عساه يخشى من جريرته ومن محاسبة ذى الشأن عنه .

أما صاحبنا الصياد ففعل مثل ما فعل صاحب كليلة ودمنة وزاد بأنه بلغة شعرية ناطقة وبأسلوب مهذب رفيع وبشعر رصين مكين لا أجد فى ما عثرت عليه من مؤلفات فى هذا الجانب مثل ما فعله الأخ الصياد ينتقل بك من عنوان إلى عنوان ومن فن إلى فن ـ ومن درب إلى دروب فتجده ذلك الشاعر ـ لا تلين له قناة ولا يخدش له أسلوب ـ ولا يفل له حد . ها هو يناجى الغراب والحسناء ، والأرنب والمرآه ، والبطة والكوكب ، والسلحفاة الطائرة . والعنقاء والبحر ـ وو ـ الخ ـ كلها تجدك معه محلقا فى خيال مجنح وتفكير مديد وعشق لهذا الفن لا يكاد ينقطع الإعجاب به ـ ولا ينضب معينه ولا يرخص ثمينه .

فلله أنت ياصياد ما أعجبك وما أطربك وما أجودك وما أحلاك ـ وما أجود فنك وأعلى شأنك . إننى بك من المعجبين وبحاستك لمن المقدرين ومن هذا الأسلوب الشيق فى التأليف لمن المستحسنين .

زدنا من خبرتك وزودنا من بيانك وضاعف علينا من إحسانك فلأنت لهذا الفن جدير وبسلوك دروبه بصير . ومن ربى نجد ومن هضابه ورياضه وشيحه وقيصومه وعراره وجثجاثه . من منبع الشعر ومن منطلق البيان من هناك أحييك واسلم لأخيك .

﴿عبد الله بن محمد بن خميس﴾

السعوديه ـ الرياض

تقديم (٣)

بقلم الدكتور عبد النعيم محمد حسنين
رئيس قسم اللغات الشرقيه بجامعة عين شمس
وعميد كلية اللغات بجامعة الأزهر سابقا

كتاب «كليلة ودمنة» من الكتب التى حظيت بشهرة عالمية واسعة فلا تكاد توجد لغة حية ذات أدب لم يترجم هذا الكتاب إليها . ولعل السبب فى شهرة هذا الكتاب طرافة الفكرة التى يقوم عليها . فهو كتاب فى الحكمة والأخلاق العمليه . يورد الحكمة ويعلم الأخلاق على ألسنة الطيور والحيوانات بطريقة قصصية فلسفيه جميله .

وقد ألف هذا الكتاب ـ أصلا ـ باللغة الهنديه . ألفه الحكيم الهندى بيدبا ثم ترجم إلى اللغة البهلوية فى عصر الملك الساسانى الشهير كسرى أنوشيروان ، ثم ترجم من البهلوية إلى العربية . وضاع الأصل الهندى للكتاب كما ضاعت الترجمتان . البهلوية والسريانيه وبقيت ترجمة ابن المقفع العربية وأصبحت أصلا لسائر الترجمات التى تمت بعد ابن المقفع .

وقد بذلت محاولات لترجمة الكتاب شعرا كانت أولاها محاولة الشاعر إبان بن عبد الحميد اللاحق فى القرن الثانى الهجرى فقد نظمه شعرا عربيا مستعملا فن المزدوج ولكن عمل هذا الشاعر لم يبق على

الزمن . فقد ضاع أكثره . ولم يبق منه إلا أبيات قليله .

ثم نظمه الشاعر الفارسى الرودكى شعرا فارسيا . وكان عمله هذا فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى . غير أن أكثره ضاع ـ أيضا ـ فلم يبق منه إلا أبيات قليله . حفظتها كتب اللغة فى صورة شواهد لغويه لتسجيل الكلمات الغريبه فى اللغة الفارسية الإسلامية .

ومر أكثر من ألف عام على ترجمة الرودكى الشعرية لكتاب «كليلة ودمنة» دون أن تبذل محاولة فى صورة شعرية جميلة بأية لغة من لغات العالم ، حتى جاء الأستاذ مصطفى الضياد فقام بمحاولة فريدة من نوعها ، لا بالنسبة لكتاب «كليلة ودمنة» بل بالنسبه لقضية الشعر العربى كلها . فقد نظم الباب الأول من كليلة ودمنة شعرا من بحر واحد هو البحر الكامل مستفيدا من ضروب هذا البحر التسعة فكان عمله فى الواقع أول «سيمفونيه» فى تاريخ الكلمة العربية أثبتت ما فى لغتنا العربية من قدرة على التعبير الموسيقى وما فيها من أسرار فنيه . حان الوقت ليرفع عنها الستار وقد رفع الأستاذ مصطفى الصياد هذا الستار . وكشف ما فى لغتنا العربية من قدرة وغنى وجمال ، وأثبت للذين أثاروا قضية الشعر العربى فى عصرنا الحديث . ونادوا بتحرير الشعر من قيود الأوزان والقوافى الموحدة ، بل بلغت الجرأة إلى حد المناداة باستعمال اللغة العامية لا الفصحى . أثبت لهؤلاء جميعا خطأ تفكيرهم وفساد رأيهم . وأن عظمة اللغة العربية وسر جمالها . يكمنان فى الإلتزام بالفاظها الفصيحة وبالبحور

والقوافى . فهى معجزتها الخالدة . وسرها الذى حملته عبر الاجيال على مر العصور ، وكر الدهور .

وإنه ليسعدنى أن أقدم هذا العمل الرائع الفريد الذى يعد ثورة خلاقه وقولا فصلا فى قضية الشعر العربى ونبراسا يضىء الطريق نحو استعمال هذا المنهج فى كتابة مسرحيات شعرية فى مختلف الموضوعات فى بحر واحد مع الإستفادة بما فى هذا البحر من ضروب متعددة وهو أمر لا يتيسر بأية لغة غير لغتنا العربية الخالدة الفريدة فى مزاياها وأسرارها الفنيه .

وانا واثق أن الأستاذ مصطفى الصياد سيتبع درته النادرة بدرر فريدة يتتابع ظهورها بين الحين والحين . وأعتقد أن أدباء العربية ونقادها سيعجبون بهذا العمل ويترقبون بلهفة ظهور غيره من أعمال هذا الأديب العبقرى متمنين له التوفيق والسداد .

دكتور / عبد النعيم محمد حسنين

هـات قلبـك وفـكرك معـي

هات قلبك وفكرك معي فى أول قصيد عربى متآلف النغم .. « سيمفونى » .. وإن لغتنا العربية قد حملت سر هذا التآلف المحكم فى صياغة الشعر منذ عهدها القديم ، وقد حان موعد رفع الستار .. وحق للغتنا العربية الخالدة أن تفخر بتميزها على غيرها بعلم عروض الشعر الذى وضعه الخليل بقواعده المحكمة فكان الأساس الفنى الذى قام عليه بناء هذه الملحمة ، بهذا الأسلوب والمنهج الجديد بالالتزام بالبحر الواحد من بحور الشعر ، مع تعدد الضروب فى ذات البحر بما يسمح بتجدد وتعدد القوافى والأوزان ، وجاء نظم هذه الملحمة من بحر الكامل بما يشتمل عليه من تسعة أضرب ـ وكان إطلاق تعبير « الملحمة » على هذا العمل تأكيدا لدور هذا المنهج الجديد فى صياغة الشعر فى الأعمال الكبرى كالملاحم والمسرحيات ، وإن بعد هذا العمل بطبيعته الخاصة عن الملاحم الأجنبية المعروفه .

وقد أخترت من «كليلة ودمنة» موضوع هذه الملحمة ، وهو باب الأسد والثور ، إيمانا بأن وجدان العرب فى هذا العصر أحوج ما يكون لأن تشغله الحكمة وأدب الفكر قبل كل شىء ... فاليوم أمر لا خمر ..
وللحقيقة .. أذكر ذلك التسجيل التليفزيونى الذى شهدناه منذ ربع

قرن لخالد الذكر الدكتور طه حسين ، وكان معه جمع من أدباء مصر ، وما وجهه من نقد لأمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى ، لعدم التزامه بالبحر الواحد فى المسرحيات ، مع أن شعراء الغرب يلتزمون بالبحر الواحد فى مثل هذه الأعمال . وقيل أن الشعر العربى يستلزم وحدة القافيه مما يصعب معه الإلتزام بالبحر الواحد . فكانت اجابته بأن هذه مشغلة الشاعر .

وكنت يوما أحاول معرفة المعنى الصحيح لكلمة « التسميط » وهى من مصطلحات علم العروض فوجدت فى قاموس المختار من صحاح اللغه أن المسمط من الشعر ما قفى أرباع بيوته وسمط فى قافية مخالفة ومثال هذا قول لامرئ القيس وقول لشاعر آخر ، وأكتفى بذكر أن وجه التغير يظهر بمقارنة كلمة (حوله) بكلمة (جريال) فى الأبيات المنسوبة لامرئ القيس .

وخطر لى أن هذه القافية المغايرة أو الجديدة ليست كل ما فعله الشاعر بل جاءت مع شىء آخر هو تغير الضرب من ذات البحر الذى يحكم الأبيات السابقة ، وأن هذه الصياغة قد جاءت بالسليقة العربية الأصيلة فى ذلك الحين ، فتعد من أصول الشعر العربى ، وهى أيضا النافذة التى يمكن منها الوصول إلى متابعة الأحداث ومتابعة تغير الوجدان فى الأعمال الكبرى كالملاحم والمسرحيات المناسبة لعصرنا الحديث بالسير فى بحر واحد من الشعر متآلف الأمواج ، وأعنى بذلك ما يشتمل عليه بحر الشعر من أضرب متعددة تتغير معها القافية كلما تغير الحدث أو الوجدان .

وكان هذا الأسلوب أو المنهج الجديد ..

وأذكر أيضا للدكتور طه حسين إستقباله لى فى بيته رغم مرضه الشديد قبل وفاته رحمه الله ، لأعرض عليه مسودة هذه الملحمة ، فكان تشجيعه لى فى لقاء لمدة ثلاث ساعات لازلت حتى اليوم أجتر من ثمراته .

والآن ها هى « ملحمة كليلة ودمنة » تجرى كالفلك فى بحر الكامل ... بضروبه التسعه فى موجات متآلفة حاملة دُرَرَالفكر والحكمة من ذلك الكنز الخالد .. « كليلة ودمنة » .

ومن الضرب الأول :

حتى الطيور أتت تشاهد ما يدو   ر كأنها سحب تشاهد عاصفه

ومن الضرب الثانى :

وكذا يؤدب نازج لدغيلة الـ   آساد يـزأر كيف يسلم جار

ومن الضرب الثالث :

بالناس فارفق ما بغير الحب إشـ   راق الوجوه وطيب الذكـر

ومن الضرب الرابع :

يـامـكثر الأسـبـاب والحجج   من أجل من تعنيه بالهزج

ومن الضرب الخامس :

صنوان لا حرب تفرق أو　　سلم يمزق وحدة القصد

ومن الضرب السادس :

وإليك أفئدة الرجا　　ل مع النساء قيودها

ومن الضرب السابع :

ورأت عيون الناس ما　　يجرى نسوا للعين غمضا

ومن الضرب الثامن :

جدوا لصيد يراعة　　لماعة النور الخميد

ومن الضرب التاسع :

ياشمس قد طال الحنيـ　　ـن إلى الربيع فدورى

وسنلتقى فى ثلاثة مواقف بهذا الوزن من بحر المتدارك :

شرا نكرا غدرا ضرا　　فكرا مكرا ذكرا ختزا

ولله در الخليل الذى وضع علم العروض فميز بحر الكامل بصفة الكمال باعتباره أكثر بحور الشعر ضروبا ، فاخترته ، وكل بحر سواه يشدنى للعزف على ضروبه .

والآن ستجرى أمواج النغم متتابعة فى القنوات التسع لبحر الكامل

متغيرة حسب المواقف ، فلكل موقف أو فكرة ضرب يتم العزف به ، لتنساب الأنغام متلألئة بأضواء لا حصر لها كأنها ألوان الزهور ، إنها حروف القافيه المتغيرة مع تغير الضروب ، ولكل منها درجة حرارته المستمدة من موقعه وإيقاع الضرب الذى يشمله ، ومن حركته نصبا أو رفعا أو خفضا أو سكونا ، وحسب مجراه الذى يسير فيه وفقا لتناسق وتآلف نغمى مرسوم بمنهج علمى أصيل دقيق .

إنه فن العرب يتكشف اليوم ليعطى العرب وغير العرب ذخيرة رائدة من القصيد السيمفونى شعرا محكما متآلف الأوزان .. وذاهبا فى امتداده وتلونه إلى أوسع وأجمل الآفاق .

فهات قلبك وفكرك معى .. لنبدأ هذه الرحلة فى فُلك النغم العربى الجديد .

القاهره :

١٤٠٧ هـ

١٩٨٧ م

﴿مصطفى سيد أحمد الصياد﴾

الفصل الاول

مرود الكحل

لله دَرُّ الهند ما دارت بأفلاك نجومْ
لله ما خَلَّفتَهُ أثَرا يُؤدب دَبْشليم
خُلْدا زكوْت بما رواه إليك صاحبُك الكريم
الفيلسوف البحر والحَبْر المُعَلِّم والحكيم
رأس البراهمة المؤدَّب بيدبا نِعْم الكَليم
لله درك بيدبا أحكمت فانساب النظيم
وحباك عبدالله جنته ورحمته الرحيم[1]

قال المليكُ لبيدبا

هَلاَّ ذكرت لنا مثال الصاحبَيْن على الإخاء تعاهدا وتصاحبا
الحب بينهما صفاءٌ زانهُ صِدْق الوفاء فلست تَسمع عاتبا
وتجافيا بوقيعة من صاحب يسقيها بالقول وُدًّا كاذبا

قال المُؤَدَّب بيدبا

هيهات صَفْو الوُدِّ بين الصاحبين وكاذب فى الود يُؤْمَن جانبا
يحتال بينهما وينفُثُ كيدهُ ليحيلَ وُدَّهُما جفاءً ناشِبا[2]
فتراهما بعد الوئام تدابرا وتفرقا مَثَلاً تَرَدَّدَ ذاهبا
شَيْخٌ يعيش بأرض دَسْتاوندَ يشكو من فِعال ومن خِصال عيالهِ
والعمر أصبح فى المشيب مُوَدِّعا ويخاف سوءَ مآلِهم ومآلِه

* * *

(١) عبد الله بن المقفع مترجم كتاب «كليلة ودمنه» لبيدبا الفيلسوف الهندى .

(٢) ناشبا عالقا .

ماكان فيهم حاذِق لتجارة أوحرفة أومن سما بخصاله
وثلاثةً كانوا ومن إسْرافهم قدبات يشكو العُسْر فى أحواله
نادى عليهم ليلةً ومضى يُحَد ثهم لعل صلاحَهم بمقاله

* * *

ولربه بَدَأَ الدعا ء عبادة وسجودا
ياخالق الكون الرحيـ ـب مشيئة ووجودا
هَبْ لى سِراجا من هُدى لنصيحةٍ فأُجيدا
كالدُّر إسْعادا لمن أَصْغى لها وسُعودا[1]

* * *

ياحكمةً هَلَّت يُسَطِّ رها على قلب مشيبُ
كالنور إفصاحا مُبيـ ـنا لايزل ولايَخيب
القلب تُسْعِدُهُ هِدا يتُه وتُشقيه الذنوب
كونى بأفئدة البنيـ ـنَ مُبِينةً تَهْنَ القلوب

* * *

إنّ الحياة تَمَثَّلتْ هَديا لعين أبصرت
صُوَرٌ تراها العين كالظِّلِّ وتُفَصِّل الآياتِ من كُلٍّ
وكأن مايجرى بعالمنا صُوَرٌ تَدُور بمسرح الظِّلِّ
الجِدُّ مَنْزلة تُقَلِّدُ صا حبَها وِشاح العِزِّ والدَّلِّ[2]
أمَّا الكسول فق الهوان يبيـ ـت مُسَرْبلاً بالكَمْد والقُلِّ[3]
والعقل يَفْرق عند صاحبه بين الهُدى وَغَياهب الضَّلِّ[4]
فاعمل لآخرة فليس يُسَطَّـ ـر فى كتابك غيرُ ماتُملى
وطريقُنا حَذَرٌ نُكابِدُهُ مِنْ وَهْدة تُودى إلى كَلِّ[5]

(١) اسعادا معاونة . سعودا يُمْنا .
(٢) الدل الوقار .
(٣) القل القله .
(٤) الضل الضلاله
(٥) كل مصيبه .

والمال من خير يَجُود كَغَيْـ ـث جاءنا أوكان كالطَّلِّ
ونماؤه بالمجد تشهده وَيَصُونه الإنفاق فى حِلِّ
والبخل ساء هَوىً ومنزلةً تُؤْتى هوانَ العيش فى ذُلِّ
وَمُبَذِّر للمال يُهلكه لوكان هذا المال كالتَّلِّ
والماء حين يفيض لست بما نِعِمِه وحين ينِزُّمِنْ ثَلِّ[1]
والكُحْلُ يأخذ منه مِرْوَدُهُ ظِلاًّ وَيَفْنى الكحل فى ظِلِّ
هَلاَّ تَرَوْنَ كما أرى وَجْه المعيشة زاهرا
أنْهى النصيحة جاهدا ومضى لِخُلْدٍ حامدا

***

عَقَلَ البَنُونَ نصيحةً من بعد أن عَرَفوا الشجونَ
رحلوا وكل حيث يأ مل فى غَداةٍ أن يكون
أما كبيرُ هُمو فقد رغب التجارة فى مَيُون[2]
يَبْغى الثراء ومنزلاً يعلو ويمنعُ أن يَهون
بدأ التزوُّد للرحيـ ـل ودمعهُ ملأ العيون
فى مركَبٍ وَسِع الطَّنا فِسَ والمؤونة والقَطين[3]
وأمامَها ثَوْران كُلٌّ ليس بِعَجِز أن يُعِين
الثور شتربةُ القوىُّ يُشدُّ بَنْدَبَةَ المتين
واختار صاحُبنا مُعِيـ ـنا كان يَحْسَبه أَمينا

***

فانظرْ مَلِيًّا وارقُبِ العَجَلَهْ والرَّكْبُ شَدَّ الرَّحْلَ فى عَجَلَهْ
بدأوا الرَّحيل مع الشروق وجُنْـ ـدُ الليل نحوَالغَرْب مُرْتحله

(١) ثل كسر .

(٢) ميون إسم مدينه .

(٣) القطين الاتباع .

صَيْحات سيدها تصاحبها ... بإرادة تمتدُّ مُكْتمله
فى عزمه يرقى بها جبلا ... حتى يرى من بعده أمله
والصبح هَشٌّ لها وبَشٌّ وجا ... ء مُزهرا ومُعَطرا حُلَله
والطير نافرةٌ تغادر أَوْ ... كاناً لسَمْت الافْق منتقله(١)
والكون رَدَّد كالمُتَيَّم من ... وَجْدٍ بها فى فرحة غَزَله
والشمس تتبعها تصاحبها ... فى حُرْقة ليست بمفتعله
كالسهم سارت غيرَ آبهةٍ ... صَوْبَ الذُّرى للصخر منتعِله
كالريح فوق السَّهْل ضاربةً ... وتسير نحو الشُّمِّ مُرْتَجِله
ومع الأصيل تَخَضَّبت ذهباً ... وَلَئِنْ أتاها الليل لاخْتَزله
ورأت نذيرا فى الغروب علا ... ها فى الوَداع تحسُّرٌ وَوَلَه
سَدَلَ الدُّجى جَفْنا يَحَضِّنُها ... فى هُدْبِهِ ضَناً بِمُبْتَهِله
والبدر فى همس يعاتبها ... متسائلا ومُبَيِّنا عِلَله
شُغِلَت بِهِ وتمايلت لسوءا ... ل بدرُها متبسما سأله
سُحُب الغمام رَنَتْ تشاهدما ... يجرى وودَّت تَنْهر العجله
وتلاحمت وتجاذبت شِيَعا ... وتراكمت فى الخُلف مقتتله
منها التى بالرعد مُشْتمله ... ترمى التى للبرق مُعْتقله
لم تخشَ مَرْكَبنا ولاوَهَنت ... عن قصدها والحرب مشتعله
تهوى القتال ولا تهاب تلا ... حُمَه ومهما اشتد مُحْتمله
سَحَّ السَّحاب دموعه شَجَناً ... وهَمَتْ بها الأمطار متصله
وأتى المَسِيل مُدَوِّياً غَمْرا ... دَرّاً فلم تَخْفِل بمافعله(٢)
حَمَلت دروعا لا تهاب بها ... ماءً يُحِيط فلم تكن وَجِله

(١) الوكن عش الطائر.

(٢) غمرا كثيرا. درأ فجأه.

وإلى الذُّرى صعدت على جبل ... ما أغفلت بمسيرة خَلَله[1]
من ليس يحذرُهُ سيجذِبُهُ ... فى هُوَّةٍ ليرى بها زَلَله
أوْرامَ تجربة ليَعْلمه ... أنهى بها فى لمحة أجله
أوشاء ينزلُهُ ليقطعَه ... من ذا نجا من بعد أن نزله
فاعجب معى من هذه العجله ... كالفُلْك فوق الطَّود مُعْتدله
وإلى العُلا كالنجم صاعدةٌ ... عَبْرَ الدُّجى تهوى السُّرى زَعِله[2]
والركب مبتهج وفى مرح ... لاشىءً يَشْغَلُهم فَيُؤْبه له
يتصايحون ويُنشدون كما ... شاءوا بلحن أطرب العجله
أنشودةً فى النظم قد حَسُنت ... تجرى مع الإيقاع مُنْسَدِ له

* * *

يامُكثرَ الأسبابِ والحُجَجِ ... من أجْل من تغنيه بالهَزَجِ
حافِظْ على المحبوب من حَرَجِ

ياداثمَ التفكير والغضبِ ... من غيرما سبب ولاسَلَبِ
البِشْر ياإنسانُ من ذهبِ

ياعاشقاً للحسن والدَّعَجِ ... والماءِ والأفنانِ والأَرَجِ

الخوفُ ياإيسانُ من حوَجِ[3]

ياطالبَ السُّقْيا من الحَبَبِ ... ترنو له فى صَفْوة العِنَبِ
الحِذْرُ ياهيانُ من تعبِ

وتمايلت وتهادَتِ العجلهْ ... وكأنها من خَمْرة ثَمِلهْ
سَيْراً جرى أيقاعُهُ نَغَماً ... فى رَنَّةٍ كالمَوْج مُتَّصِله

(١) الخلل الفرجه .

(٢) زعلة نشيطة .

(٣) ايسان أنسان .

بِفُجاءة خَطَرت إلى بَلَلٍ   فى هُوَّةٍ نزلت إلى وَحَلٍ
حَلَّت به ترنو إلى زُحَلِ

فى الطِّين أَمْسى شَتْربهْ   عَبَثاً يُقاوم كَبْكَبهْ
تَلَّتْهُ قَهْرا مَرْكَبه[١]

وَرَنا اليهم كوكب الزَّلَلِ   فى الليل يرقب دِقَّةَ العملِ
مُتَخوفا من ضيعة الأمل

* * *

عقدوا السواعد فى سبيل قيامهِ   والثور يأبى أن يُطيق قياما
رفعوا العيون إلى السماء تَطَلُّعا   والقلب يرقب فى الفضاء ظلاما
فإذا السماءُ تَحَجَّبَت بغُلالة   سوداءَ تَنْشُر رَهْبة وَدَلا ما[٢]
والكون أَدْجى لا يبين بوجههِ   حتى يُعيدَ إلى القلوب سلاما
قَدَرٌ يُحاصر والفِرار تَحَرُّزٌ   وإذا حذِرت فقد سلمت دواما
ولذا فتاجرنا الحريص بداهة   وَلَّى وأبقى من رآه هُماما
ألقى إليه الأمرَ أنت لواجب   بجوار شتربةٍ تبيت لِزاما
وعليك تحرسُه وترعى أَمْره   ولمثل هذا قد حَمَلْت حُساما
والريح قادمةٌ تُعيد يُبوسة   للأرض واحذر غَفْلة فتنام
أُعْطيك عهدا إن لحقت بنا وجا   ء الثور خلفك أن تنال وساما

* * *

فانظرْ لصاحبنا البَطَلْ   بعد ائتمان فى العملْ
فى نفسه أمضى يُرَدِّ   د ما لمن يبقى أمل
وَلَّى ولم يَحْفِل بشتـ   ـربةَ المُكبلِ بالوَحل

(١) تلته ألقته على عنقه .

(٢) دلاما سوادا .

وأتى لسـيده يجا   دعه ويختلق الحِيَل
ومع النحيب يقول إن   العمرَ بحكمه الأزَل
وانظرْ تَجِدْ عبثا يحا   ول من يَفِرُّ من الأجل
تَرْتَدُّ حيلته إليـ   ـهِ إن تباعدَ أو رحل
وجرت دموع كاذبا   تٌ خَوْفَ ظن أو عَذَل(١)
يَنْعىَ طريحَ الطين شـ   ـربةً بدمعٍ فى المُقْل
يبكى بكاءَ الشاكلا   تِ وراح يَرْتَجِلُ المَثَل

* * *

رجلٌ وحيدٌ فى الشِّقاعْ   وَجِلٌ ويحذرُ من سِباعْ
آذانُه سمعت ذئا   باً صوتهم رمز الجياع
فارتاع من هَوْلِ التخوُّ   فِ من ذئاب فى اجتماع
أمضى يفكر لم يجد   أملا فيسرعُ باتباع
وَفُجاَءةً لَمَحَ الذئا   ب تَجِدُّ للصيد المُشاع
وهُنَيْهةً حتى أتوْ   هُ وهو يعدو فى ارتياع
نظراته طافت تدو   ر بفزعة حول البقاع
وَبَدَتْ بعيدا قريةٌ   مثل الظلال على اليفاع(٢)
لكنها من بعد نهـ   ـرٍ مثل بحرٍ فى اتساع
من دون قَنْطرةٍ تُعِيـ   ـنُ على نجاة من ضَياع
فى الماء التى نفسهُ   ويكاد يغرق فى اندفاع
وعلى صِياح منه جا   ءت نجدةٌ قبل ابتلاع
ورأى قريبا منزلا   يعلو وحيدا كالشِّراع
ماكاد يأتى بابَهُ   حتى تراجع فى ارتياع

(١) عذل ملامه .

(٢) اليفاع الارض المرتفعه .

عيناه قد لَمَحت لصو صا والضحيةَ فى نِزاع[1]

كان المُسَجَّى تاجرٌ فى غَشْيَة بعد الصراع

ذبحوه دون تَرَفُّق من بعد تمزيق الذراع

كالبرق فَرَّ مباعداً هيهاتَ مُكْثٌ من شجاع

وبدا لعينيه جدا رلا يبارى فى ارتفاع

أَرْزَى إليه آمنا شرا يُحيط بلا انقطاع[2]

سقط الجدار مُبَدَّوِياً فوق الحريص من الوَداع

فاصفح لمغفرةٌ ومر حمةٌ لا فضلُ من مَتاع

* * *

(١) نزاع نازع المريض نزاعا جاد بنفسه .

(٢) أرزى أستند .

الفصل الثاني

صاعد الجبل

ونعود يصحَبُنا الحنين لثورنا قد باتَ يَرْعى ناعِماً حُراً
فالماء والكلأ الرطيب إلى المَدَى وبنعمة ملأ الرُّبى شُكْرا
وصدى الخُوار أتى لمَسْمع جارهِ مَلِكِ السباع فهاله ذُعْرا
فى غارهِ قد بات يرجُف كلما سَمِعَ الخُوارَ ولم يُطقْ صبرا
ما كان ذا الملكُ الكريم بعالِمٍ أَمرَ الخُوار ولا رأى ثورا
قد عاشَ فى آجامه مَلِكا على أرض السباع مُنَعَّما دَهْرا
وبناتِ آوى والنمورةُ والذئا ب له قَطِينٌ ما سعى شِبْرا
ومضت ليالٍ والمليك مُحَيَّر من صوت جار خائفٌ سِرا
لكنه لم يعتَدِ الشَّكوى فما طلب النصيحة أو شكا ضُرا
وأتى ابنُ آوى دمنةٌ لأخيه يَرْ جوهُ كَلِيلَةُ إعطنى فكرا
وَكِلاهما بين السباع مُفَضل والعلم عندهما جرى بحرا

رَدَّ الأديب كليلةْ

ما كان قلبى بالقَسِىْ أو كان سمعى بالعَصِىْ

قال المفكر دمنةْ

ان المليك كما يُشاع مُخَوَّفُ فى غاره من كل شيء يَرْجُفُ
ماذا وراءَ سَحابة تُفْضى بِسِرٍّ للذكىْ

قال الأديب كليلةْ

ما لابن آوى أن يُسائل فى شئو ن لا تُعَدُّ لديه مما يُعْرَفُ
ناهيك ما نحياه إن الفهم آوى للرَّضِىْ

إنا نعمنا بالحياة رَغيدة هَلاّ نَهَتْك قناعة وتَعَفُّفُ
إن الخَلِيَّ شقاؤه عِنْدَ التطلع للعَلِيْ
فَنُحِبُّ ما يهوى ونسلُكُ دَرْبَهُ هذا غَناءٌ سابغ وتَشَرُّفُ
وَدَعِ التساؤلَ جانبا فالعقل أكرم للدَّهِيْ
وامسك لسانك ليس هذا شَأْنُنا سَرَفُ النفوس مَهالِكٌ وتأسُّفُ[1]
وشراهةٌ منمومةٌ ونَدامةٌ تُصْلى الشقي
هذا تُرَدده القرودُ من يوم أن صرخ النَّجُودُ[2]
وقد اعتلى خَشَبا كأن الذيلَّ من خَلْفٍ عَمُود

قال المفكر دمنة

قل يا كليلةُ كيف ذا

قال الأديب كليله

قرد تذاكى والذكاء يُدارُ حتى أعاد صوابه النجارُ
كان الفطين القرد يعلو دوحة يلهو ويرقب حسبا يختار
في القرب شاهد طُرفَة لم يَدْرها خشبٌ أُقيمَ وقد علاه الجار
وكأنه في لُعْبة يلهو بها وقد انحنى وتحرك المِنْشار
فُتن الذكي بما يرى متعجبا وتكاثرت في رأسه الأفكار
فتردُّدُ المنشار أذهله وما يَنْهى اللَّبيب مع الذُّهول حِذار[3]
وتغيب النجار مبتعدا فحا نت فرصة يقوى بها الإصرار
فأتى إلى الأخشاب مُبْتهجا يُقَلِّـ ـدُ ما رأى وتصايح المِغْوار[4]

(١) السرف ضد القصد .
(٢) النجود الشجاع .
(٣) الحذار المحاذرة .
(٤) المغوار الكثير الغارات

لم يَدْرِ أن الذيل يرقص ساربا — من مَنْفذ المنشار حيث يُدار[١]
وتحركت وَتَدٌ مُسانِدة فشدَّ — الذيل من خلف اللبيب سِوار
فى قبضة كالنار تُمْسِك ذيلهُ — وَغَشاه من بعد الصُّراخ دُوار
من ذا يغير ما جنى بحماقة — كيف الفِرار وفى الوراء إسار
ومضى يصيح لنجدة من مِحْنة — هيهاتَ حتى جاءه النجار
فسقاه ضربا جاء فى دُبُرٍ لفِعْـ — لته جزاءً لم ينلْهُ حِمار
مُتَرديا بمطامع سَرَفا وإن — العقل عند القانعين إزار
وكذا يؤدَّبُ نازحٌ لدَغِيلة الـ — آسادِ يزأر كيف يسلم جار[٢]

قال المفكر دمنه

هذا يقال لمن بلا فِكْرِ

لكن لتعلمْ أنه خطأٌ — هذا المثال على الذى يجرى
كيف التَّشَرُّفُ بالملوك إذا — كان التَقَرُّبُ شِيمَةً تُزْرى
ان التقرب مِنْهُمو أمل — ليعودَ بالِغٍ باسِم الثغرِ
فبهم ينالُ الحق صاحبُهُ — وينال مَجْدا خاملُ الذِّكْر
وترى النُّهى والعِلْم يرتفعا — ن إلى مقام فيه ما يغرى
أما الذى رضى الهوان فقد — خسر الحياة وعاش لا يدرى

* * *

يُرضى القليلُ دنيئا — فى الهُون بات قَمِيئا[٣]
كالكلب يدنو للحُشا — لة والعِظام حَجِيئا[٤]
هو فى أقتراب أو بعـ — د عنك دام خسيئا

* * *

(١) ساربا ذاهبا .
(٢) آساد اسود .
(٣) الهون المهانه . قميئا صغيرا ذليلا
(٤) حجيئا لاجئا وخليقا

ويَـهُــز ذيلا حين يـنشرحُ ... وَيَعُمـه من فوره الفَرَحُ
لو جاءه من عـنـد سيـده ... بعضُ النُّفايا بعد أن ذَبَحوا
أمـا الكـرامـة والـغلا فـهما ... صِـنْـوانِ فى الآمال ما اختلفا
وإذا الهوانُ أتى الكريـم ترا ... ه إلى المعالى جَـدَّ وانعطفا
والـهُونُ يـرضاه الذليلُ وإن ... غَـنِـمَ القليلَ لعَـدَّهُ شَـرَفا

* * *

والغاب تعلم خَصْلَةَ الأسَدِ ... فى طبعه المَحْمود والفَرِدِ
لوعـاد يومـا صـائدا وَرَلا ... مُـتَصبِّـراً ويسير كـالكَمِدِ
ورأت بعَـيدا عينُه حَمَلاً ... سَيُحِسُّ لَفْحَ النار فى الكَبِد
لِلْخَلْفِ يُلْق زاهدا وَرَلا ... كـالبرق يُسْرِع قاصدا حَـمَلا
ليذوقَ لَحْمَ القادم العَكِدِ[١]

أمـا الكمـالُ فَشِيـمة الفيلِ ... مـا احتـاج فى مدح لتمثيـلِ
لوسـار بين الخيل تَوَّجَـهـا ... شَرَفاً ويفضُلُ خيرَ شِمْليل[٢]
يأبى التهامَ العُشْب قبل مزيـ ... ـد الوُدِّ تَـأْكيدا لتَـفْضِيل

* * *

وتـفـاخـرُ الأَنْـداد لـيـ ... ـس لمن هَوَى بصـفـاتِـهِ
أعمارنا مِلْكُ الزمانِ ولا ينا ... ل المرء إلا البعدَ عن ساعاتِهِ
مـا كان من خَـيْرٍ أتاه فإنه ... جانِـيه لا ما كـان من لَـذَّاته
وَيَدُ الكريم تزيد من شرف لهُ ... ويـد البخيل نقيصةٌ لحياته
وإذا ملكْتَ فجدْتَ نِلْت كرامةً ... والفضلُ ينبع غُرَّةً لِلِداته
وإذا القناعةُ زَيَّنَت عيش الهوا ... ن أساء من يرضى الهوانَ لِذاته

(١) العكد السمين .

(٢) شمليل سريع .

قال الأديب كليلة

إنى فــهـــمــتك لم أَنَــمْ فــارجـعْ لـعـقـل قد عَصَمْ
ولــكــل فَــرْدٍ مــنــزلٌ لــيست تُــطــاوغ مــا زَعَــم
والــفــخــر جِــدُّك فى الحيا ة وليس فضل كــالـعَـدَم
والخير أن تـــــرضى بما وهب الإلــه ومــا قَــسَــم

قال المفكر دمنه

إن المنـــــازل دَوْلَـــــةٌ تــأتى وتــذهب كــالــلــيــالى[1]
مــتــعــاقــبــاتٍ لا يــدو م لها ثــبــات عــنــد حــالِ
تجرى الحيــاة بــنــا كــمَــوْ ج ليس يَــفْــتُــر عن تدال[2]
ومــثــالُ كُــلِّ تــغــيُّــرٍ جســمٌ يُــحَــرك بــالــفــعــال
وهى المروءة لازمت من عــاش يَــهْــدِف للمعالى
وإذا الــفتى افــتــقــد المرو ءَةَ فــالمصــيــرُ إلى وبَــال
وإلى السُــمُــوِّ يَــجِــدُّ من مَــلَك الكــريم من الخِصال
وَيَــظَــلُّ حيث يــكون من عَــدِمَ الــطُّــموح فلا يــبالى
وإذا تــعــلــل بــالتمــ ـى نــال وَيْلاً فى الــمَــآل
شَــتَّــانَ مــا بين الــحَضِــيــ ـضِ ومــا تَسامى لــلكــمــال

قال الأديب كليله

أنــا لست أنــكــر ما تــقولُ مــا دام رائِــدُكَ الجلــيــلُ

(١) دولة انقلاب الزمان .

(٢) يفتر يسكن بعد حده .

أو كان خيرُكَ مأْرَبَكْ

قال المفكر دمنه

هى فرصة للفوز حانَتْ وكأنها الأثمار دانَتْ
والحَظُّ يُنكر من تَرَكْ

ولقد فهمت الأمر سِرًّا إن المليك يَئِنُّ جَهْرا
ولقد تحير وارتبكْ

قَدَّرْتُ أن ألقاه فَوْرا لأُعِينَه فِكْرا وَمَكْرا
والعَوْنُ يَلزم من مَلَكْ

ولديه أبلغ حُظْوتينِ أَدْنو فأعلو رُتْبتينِ
كالنجم يَلْمع فى فَلَكْ

قال الأديب كليله

قد فات ظَنُّكَ يافطَينُ كيف التأَكُّدُ واليقينُ
من أمر سِرٍ ما انهتَكْ(١)

قال المفكر دمنه

بالجِدِّ أعمل لليقينِ بالحِسِّ والفكر المتينِ
حتى أُحيطَ بما حَلَكْ(٢)

قال الأديب كليله

هَلاَّ ركَنْت إلى التَّأَنى وحَذِرت آفاقا تُمَنى

(١) انهتك انكشف .
(٢) حلك اشتد سواده.

من جاءها جَهْلا هَلَكْ

أسرارُهـــــا لمن اقْتراهـــــا من مَـوْلـدٍ لا من شَـراها[١]
ولذا قليلٌ من سَلَك

قال المفكر دمنه

إن الـــــقوى إذا تمنى حَـمْـل الثّـقال فما تَـجَـنَّـى
والدُّرُّ يُعْرف دون سَكْ

وإذا جَــهِـلتُ بـأمـر نـفسى أوعُــدْتُ مُـنْـطويـا بـأمسى
فالدهر ينصر من عَرَكْ

والهُون ليس لنا كليله

قال الأديب كليله

لـيس الصـحـيح كما تـقولُ عَـبَـثـاً تُـجـادل أوتُـطِـيلُ
الأمرُ دمنةُ ليس حيلهْ

والخير تنسى مَطْلَبَكْ

مـا كـنـتَ فى خَـسَـبٍ حَـبيبا أوكـنـت فى نَـسَـبٍ قـريـبـا

من ذا سيأ منُ جانِبَكْ

سـيـمـيـلُ لـلـجـار الـقـريـبِ كـالـكَـرْم ذى العـود الرطيبِ
ولئن رَنَا لك أبعدَكْ

قال المفكر دمنه

(١) اقتراها تتبعها

قـــدَّرت قولك هـــذا وأنــــــتا أراك مَلاذا
فوجدت قولك فيه شَكْ

هـذى الأصـابع هل تساوتْ وكـذا الـذكـاءُ أمَـا تَـفاوَتْ
حتى الـنـجومْ وقـد سَـمَتْ منهـا نجومٌ قـــد تهاوَتْ

* * *

أنظر بعقلك كيف يفعل صاعدو ن إلى الملوك تـنافسا وحماسَـهْ
يتداولون كأن عرشَ مليكِهم فَلَكٌ تدور به النجوم كِياسه
فترى الذى يَرْقى السماء مُحَلِّقا كالشمس يتخذُ العَلاءَ فِراسه
ولَرُبَّ نَجْمٍ قد يُزَلزل نجمُه كالشُّهب يَهْوى خيبة وتعاسه
ومن المُحال يصير نجما كالسُّها من لا يُطِيق سوى دَدٍ ودَهاسه[1]
واعلم سأذكر هذا

زِدْ ما استطعت تمسكا بفضائل فـبـدونها هيهاتَ من قَـدْرِ
كُنْ خَيِّرا متواضعا نَجِدا دَؤُو با فى اجتناب المَذْل بالسِّر[2]
وَلْـتَـدْرأَنَّ أذىً تُـكابده بطو ل الصبر والـزمَ جـانب الخير
بالناس فارفُقْ ما بغير الحبِ إشـ راقُ الوجوه وطَـيِّبُ الـذِّكْـر

قال الأديب كليله

وإذا وصلْتَ كما أراك مُؤَمِّلا كيف السبيلُ لكى تكون مُؤَهَّلا
حتى يدوم لك البقاءُ مُنَوَّلا

قال المفكر دمنه

(١) الدد اللهو واللعب . الدهاسة لين الخلق .

(٢) نجدا غايه فى الشجاعه . المذل بالسر البوح به .

بِـخُـطـاً أسير بها إلى أَمَلى   مُتَحرِّزًا بالفِكْرِ من خَطلٍ[١]
وإرادةٍ تـقـوى على الـعـمـل   وتَصَـبُّـرٍ يَـمْـتـد للأَجـل

* * *

إن قـال دمـنـةُ سَرَّنى زَيْـنٌ   ســأقول يـامولاى ذا زَيْـنٌ
أوقـال دمـنـةُ ساءنى شَيْـن   ســأرُدُّ يـامولاى ذا شَـيْـن

* * *

فـإذا رأى من حَـوْلـه خيرا   زَيَّـنْـتـه بِـمَـقـالـة جَـهْـرا
وإذا رأى فيما جـرى ضُـراً   بَصَّـرتُـهُ بـنـصـيـحـة سِـرَّا

* * *

وَأَزيـد من عـملى ومن سهرى   مُـتَـمسكا بـالجِدِّ لا الهَـذَرِ[٢]
فـيكـون كيف أُريد لى وَزَرى   وأفـوز كـيـف أشـاء بـالـدُّرَر[٣]

* * *

وأصير بين الـقـوم فى حَسَبِ   يـعـلـو على الـقُـرْبِى أوالـنَّـسَبِ
وَيُشار أين أكـون فى عـجب   ويـقـال فـاق الخلق من أدب

* * *

هلا تـرى مَـثَـلاً جرى رَجُلا   أخذ الحِجا مُـتَـدَعْـلِـجا سُبُلا[٤]
فكـمـا يـرى مُـتَـخـيلا أَمَلا   سـيـنـالُـه مُـتَـحـقـقـا عـمـلا

* * *

لاحقَّ مـهـا كـان يَـحْـجِـزُهُ   أوصـدقَ مـهـا بان يُـعْـجِـزُهُ
لوشـاء بـالـبُـهْـتـان يَـلْـمِـزُهُ   أوشـاء بـالـنُّـكْـران يَـهْـمِـزُهُ

* * *

(١) متحرزا متوقيا
(٢) الهذر سقط الكلام .
(٣) الوزر المعقل .
(٤) متدعلجا مترددا فى الذهاب والمجئ :

والـزَّيْـف حين يـريـد يَـتْـبـعـه لـوكـان هـذا الزَّيْـف يـنـفـعـه
مـن ذاعـن الـبُـهْـتـان يَـرْدعـه مـن ذا سَـيُـدْرِكـه فـيـمـنـعـه

* * *

كَـمُـصَـوِّرٍ يَـفْـتَـنُّ بـالـلَّـوْنِ كالجِنِّ يُجْرى السِّحْر بالسِّنِّ
فترى عِجيب الخَلْقِ والحُسْن يـأتـيك إعْـجـازا من الفَـنِّ

قال الأديب كليله

تَـبـاً لـعَـقْـلك أَهْـوجـا تَـبـاً لـفِـكْـرك أَعْـرجـا
إن السَّلامــةَ فى الــرُّقِيِّ إذا اســتـطـعـت تَـدَرُّجـا
يـــاوَيْحَ آلٍ أنت مـــنــهـم نِسْبَـةً ومُـزَلَّـجـا[1]

هَلاَّ سمعت بحِكْمَةِ الأَزلِ

إنْ تَصْـحَبِ السُّـلْطان يَـوْ ماً صِـرْتَ فى شَـرَك الندامهْ
أوتُـودِعِ الـنِّـسْـوان سِـرَّ ا عِشْتَ لا تـدرى السلامـه
أوشـئـت تَـجْـربـة لِسُـمٍّ ذُقْت عـاقـبـةً حِمامـه[2]
أَوَما عَلِمْت بصاعد الجَبَلِ سَعْيا لمَثْراة على عَجَلِ
بـالتِّـبْـر والياقوت أوبعَـقِـيـ ـق أوبعُشْب جـاد للعِلَلِ
يُمْضى الليَّـالى حـائِـرا يتخوَّ فُ من رُقاد خَشْية الغَفَل[3]
يـتَـعَـجَّـلُ الآمـال يجمـعـها وينـوء بـالأحْمال والـغَـلَـل[4]
فى عـزمـه لاشىء يَـرجِـعُـهُ عن غـاية تسمو على الأجل
كـالفَـهْـد يَـرْقى حابِـياً فإذا زَلَّتْ يَدٌ سَيَبِيت فى الخَلَل
أوجـــاءهُ أَفْــعى لــرَوَّعَــهُ وَيَطيح صوت السبع بالأمل
هَـيْـهاتَ أنْ يلقى الأمان وما تَـدْرى السِّباع بوَقْفة الغَزَل[5]

(١) مزلجا ملصقا بالقوم وليس منهم .

(٢) الحمام قدر الموت .

(٣) الغفل الغفله .

(٤) الغلل العطش .

(٥) الغزل من تراجع الكلب بعد ادراك الغزال .

أو ثَمَّ صاعِقَة ويَسْبقها شُهُب تُزيح العُمْر عن عَجِل
والريح تَعصِف والحياة تدو ر لعَوْدَةٍ فى دَوْرة الأزل

قال المفكر دمنه

الأمر ليس كما تقو ل ولا يَبينُ له دليلُ
إلا إذا ساوى الغَشَمْشَمَةَ الجبانُ أو الذليل[1]
والحَقُّ هذا ما أقو ل ولن يكونَ له بديل
قِمَمٌ تناهت فى التعالى تسمو لها هِمَم الرجالِ
سَهَرُ الملوك تدبُّرا وَرُكوب بَحْر للأعالى
وإذا الحوادث حَدَّثَتْ فَطِعان نِدٌّ فى القتال

* * *

من كالأُسود مُقَلَّدا سلطانا أوكالرياح طَوَى البِحار زمانا
أوكالسَّعير على العِدا نيرانا كَسَب المكانةَ رِفْعة وأمانا
وكذا تُحَدِّثنا الليالى

ذو الفضل مُغْتَرِبٌ يَنُوءُ بفَضْله إلا بصَرْح شامِخ البُنْيانِ
دارٍ لنسّاكٍ خلوّا لِعِبادة اوعند رأسِ عشيره سلطان
فَهُنا الحياة سماحة وكرامة والجار يلقى الجار باطمئنان
وَإليك فى الأجَمات منَ يَعْلو كنَجْم فى الخصال
الفيل غُرَّته الكرامة لا يُرَى إلا بِرَحْل للملوك مُسَافرا
أو شامخا يَطْوى المجاهل سائرا

قال الأديب كليله
إن شاءَ ربك سوف تُصْبِحُ ما ترى

(١) الغشمشمة الشجاع .

الفصل الثالث

الطبلة والذئب

فاعجبْ لدمنةَ إذْ وَصَلْ عند المليك لما حَصَلْ
مُتَقدما بعد الغرو ب بدون خوف أو خجل
السبع كان بغاره بين الجنود وفى عمل
ألقى إليهم بالسَّلا م وما تَرَدَّدَ إذ فعل
رَدَّ الجنود سلامَهُ والسبع ينظر فى جَذَل[1]

سأل المليك جنودهُ

من ذا تَرَوْنَ يكونُ

رَدَّ المفكر دمنهْ

أنا دمنةٌ من آل آوى والغابُ تَعْرف من لآوى

قال المليكُ لجُنْدهِ

إنى عَرَفْتُ أباهُ ورأيت كيفَ صباهُ
يكفيه أن أباه عا ش مُكَرما قرباه
وأراهُ مثلَ أبيه فى الأ خلاق إذْ رَبَّاه
وبناتُ آوى كلهم فى فَضْلهم أشباه

وَرَنا لدمنةَ قائلا

أهْلا وأين تكونُ

فإذا الجنود تبسَّمَتْ جَذَلا بما سيكونُ

(١) الجذل الفرح .

رَدُّ المفكر دمنه

أَلْزمت نفسى قُرْبَ باب مليكنا　　متطلعا للسَّعْدِ كل صباحِ
إن لم تكن هذى الحياةُ سبيلَنا　　نحو العُلا فقدت طريق فلاح
وبقُرْب أبواب الملوك تنوعت　　صُوَرُ الفِعال لمن أتى لكفاح
ولَرُبَّ عودٍ فى طريقِك مهملٍ　　عند اختبارٍ يُرتجى لصَلاح
واليَأْسُ حظُّك من رَجاوة صاحبٍ　　ظَنَّ الفلاح بوجهِهِ الوَضَّاح(١)

* * *

سُرَّ المليك بقولِهِ　　قد كان يعجبه الفَصِيحُ
ومضى يقول لجُنْده　　الرأىُ عندى ذا صريح

* * *

من كان يبدو خاملا　　فى الذكر والعنوانِ
ويضم قَلْبا شامخا　　يقوى على الحِدْثان(٢)
سيعود يوما صاعدا　　بالعزم والإيمان
والنجم فى فَلَكٍ لَهُ　　قد يختفى لزمان
وتراه عينك ليلَةً　　قد عاد للمعان
وإذا رَمَيْت بجَمْرة　　زادت من النِّيران
وأراه يبدو جُذْوة　　تَزكو بكل مكان

* * *

كل تَبَسَّمَ راضيا　　والسبع يضحك عاليا
وفؤادُ دمنةَ كان يرقص فى ابتها　　جٍ فرحةً وتَيَقُّنا من نُجْحِهِ
وإلى الجنود رنايَتِيه بفضله　　فى نظرة فيها إلكثير لشرحه

(١) رجاوة رجاء .

(٢) حدثان الدهر نوبه .

فالسبع أعلن وُدَّهُ لأبيه بل ... أبدى لهم قولا يَفِيض بمدحه
لكن دمنةَ لم يكن يَكْفيه هـ ... ـذا الفوز بل يبغِى المزيد لِربِحْهِ
فى نفسه أمضى يفكر لست من ... يَـغْتر أو يرضى بقلة كَدْحِه
بل راح يهمس سادِرا فى حُلْمه ... مترنِّما بغُروره لاسُنْحه[1]

* * *

هى فرصةٌ حتى أحقِّقَ نصرا ... ولها أتيت اليوم أَشْحذ فكرا
إن الدَّهاء وسيلتى وصناعتى ... وإذا أصبتُ فسوف أَكْسِب خيرا
وكذا ذكاءَ بناتِ آوى غُرَّةٌ ... نزهو بها وغدا سأسعد عُمْرا
جاهِدْ تنلْ ما تبتغيه وإن ما ... ترجوه يَعْدِل أن تكافحَ دَهْرا
وعلا بصوت كالهَدِيرِ بفُتْحةٍ ... ألقى بها حتى يؤكدَ أَمْرا[2]

* * *

باب المليك منازلٌ ... قد قُدِّرت وبها نكون
من كان رُكْناً فى الوَغَى ... فالحربُ شاهدُهُ الأمين
أوكان قُطْبا فى النُّها ... فحِجاه منطِقُه المُبِين
أوكان بحراً فى العلو ... م علا به الرأى المُعِين

* * *

وكما جرى المَثَلُ الفَريدُ ... الحَظُّ يُدْرِكُهُ السَّعِيد
والفَضْلُ يشملُ أهلَهُ ... والحَرْبُ تَنْصُرُ من يُجيد
والعلم يشمَلُ نورُهُ ... من لايُبارى أويَحِيد
فاختَرْ مُعِينَكَ صالحا ... إن شئت تدركْ ما تُريد

* * *

(١) السنح اليمن والبركه

(٢) الفتحه تفتح الانسان بما عنده من أدب يتطاول به .

والخير فى الأزهـــار كَـــثْـــرتها   والخير فى الأطْـــيـــار جِيرتُـــهـــا
والخير فى الأصحاب نُـدْرَتُـها

عَـدَماً جَـنَـيْتَ من القَطِيـ   ـن أَضَـعْتَ مالاً باليَـمِـينِ
وتـبـيتُ مِـنْ دون الـمُـعِـيـ   ـن لِعَوْنِ صاحبِك الثَّمِين

* * *

ولـــكـــلٍّ شىءٍ غـــايـــةَ   يُـــبْنى عـــليهـــا قَـــدْرُهُ
وكمالـــــه فيما يُـــــنَـــــا   ســبــه لَـيَـصْـلُـحَ أمـرُهُ

* * *

لو شئت تبنى منزلا عَـجَبا   ومضـيت تسأل طالبا خشبا
ونَـوَيْت تـدفعُ راضيا ذهبا   هل كنت ترجع حاملا حطبا
أوكـان رَوْمُكَ حُـلَّـة خـزا   حتى يـزيدَكَ حسنُها عِزاً[1]
أوكَـىْ تَـبِـيت مُـسَرْبَلاً قَـزاً   ماذا تُـفِـيدك بُـرْدَةٌ عُطُبا[2]
وترى الذكيَّ أطاع أمرا

خُـــذْ مِن تجاربِ نـــاصح   لترى حـــقـــيـــقـــة مـا تَـــرُومُ
قـــبـل الـــنـدامـة والـــلِّـــقـا   ءِ بِشـــامِتٍ أومن يَـــلُـوم
وترى الفَطِينَ يُقِيم عُذْرا

لاتَـــحْـــقَـــرنَّ مُـــروءةً   لـــفـــتىً سما بِـــخِـصـــالِ
مَـــهْما تضـــاءل مـــنـــزلاً   وَبَـــدا بـــأضـــعفِ حـــال
فَـــلَـــرُبَّ فى يومٍ يـــعو   د مُـــحَـــلـــقـا بِـــفِـــعـال

(١) الروم الطلب والمرام .

(٢) البرد ثوب مخطط . العطب القطن .

ومن السمَوات تجيءُ أَوْ تار لصُنْعِ نِبال
وتَشُدُّها أَيْدى الملو كِ وجُنْدُهُمْ بقتال
تَلْق الكرامةَ فى الحرو ب وعند صَيْدِ غزال

* * *

هَزَّ المليكَ كلامُ دمنةَ فَزَأَرْ مُتَرنِّما بجَمِيل قولٍ كالدُّرَرْ

* * *

قَدْ كان دمنةُ فَذًّا ما كان يَقْبل بَذًّا (١)
مُتَوقِّعاً حَسَدَ الجنو د مضى يفكر شَحْذا
لن أقبلَ الخِذْلان أو أرضى لقَصْدى جَذًّا (٢)
ما كنت غِرًّا أوجبا نا كَىْ أُطاوع نَبْذا
والجمع حولى حاقدٌ أوحاسدٌ يَتلَظَّى
سَيُقال إنَّ صداقةً لأبى أتَتْنى حظا
لابُدَّ لِى من قَوْلةٍ كالدُّر تُنْظم لفظا

* * *

وَعُيونه طافت تُناظر عينَهم فيها بريق كاد يشملُ جمعَهَمْ
وأفاض فى قول يفصِّله لَهُمْ ويهُزُّ فى صوت عميق سمعهم

* * *

إنَّ المنازلَ لم تكنْ عِندَ الملوك لها مُعِينُ
من ذا سيصعدُ منزلاً لو قال إنَّ أبى أَذِينُ (٣)
الشمس تقطع دربها ليست يُتابعها خَدِينُ (٤)
ولكلِّ نجمٍ منزلٌ بمواقع فيها تَزِينُ

(١) البذ المثل .

(٢) الجذ القطع .

(٣) أذين أذن له .

(٤) الخدين الصاحب .

هـٰذا الـتـصـاعـد والـتـنـا   هى لـيس تُـدْركـه ظُـنون
كُـــــــلٌّ يَـوَدُّ وإنَّما   يَــرْقى لـرُتْـبـتـه الـقَـمِين (١)
إبْــنـا لـنـجـمٍ أوشَـهـا   ب شـأْنُـهُ الـحَـكَـمُ الأمين
ولــــذا الملــيك إذا تخيـ   ـر فــالصلاح هو الضـمين

ومضى يصـــيح مســـائلا   مُـتَـيَـقِّـنـاً مُـتَـفـائلا

مَنْ ذا يفوق الأم فى قُرْب لنا

رَدُّوا جميعا جسمُنا

فمضى يردِّدُ قائلا

وإذا مَرِضْنا مَنْ سيألم مثلَنا

رَدُّوا جميعا جسمُنا

فمضى يردِّدُ قائلا

أَيُرَدُّ مِنْ نَطُسٍ غريب طِبُّنا (٢)

وأتى الجواب فكان لا

فَـتَـنَ المليكَ حديثُ دمـنـ   ـةَ قـال دمـنـةُ فـلـتـقَـرْ
لافُضَّ فُـوكَ لما نــطــقــ   ـت سِوى المحاسنِ والــدُّرَرْ
وإلى محيــطــيــه تَـكَـلَّـ   ـمَ فى أنــاة إذْ نــظَــرْ
لــيس الملوك كـمن خلا   سِـيَّـان قـال بَـلَـى ولا

(١) القمين الجدير .

(٢) النطس العالم .

من جاء يطلب حقَّهُ وتصُدُّهُ ويعود يطلب حقَّهُ فتردُّهُ
سيعودُ مِثْل الصّنْدَلِ(١)

خشبٌ عجيبٌ شأنهُ كالنَّار يَلْسَعُ إنْ قُدِحْ
فإذا حَكَكْتَ مجرِّباً فاحذَرْ تعاودُ أوتُلِحْ
أَوْ مِثْلَ صِلٍّ هَيْكَلِ(٢)

أَفَعى أذىٌّ مَنْ نجا منه بعمر قد فرحْ
لوعاد يأمل فى مُدا عبةٍ إلى قبرٍ بَرِحْ

* * *

وتبسم الملك الكريم مُؤكِّدا جَمَّ الرضاء
وأشار للحراس جاءوا فى خشوع بالعشاء

* * *

وأقام دمنةُ فى رِحاب مليكه فى نعمة تجرى كأحلام الصِّبا
بمكانة بين الجنود رفيعة وحياته صارت هناءً طيِّبا
لكن أمرا كان يشغل قلبَهُ أن يستزيدَ إلى المليك تقرُّبَا
فمضى يراقبُ فى أناة خِلْسةً حال المليك إذا تثاءب أوشَبا(٣)
قد أرهف الآذان يسمع صابرا وعلى طريق الصبر يأمل مَطْلَبا

* * *

ماكان يُتْعِبُهُ انتظارُ أوكان يَنْقُصُهُ اصْطِبارُ
أما المليكُ فكان يحـ ذَرُ أَنْ يفاجئه الخُوار
ما عاد يبرح غاره وكأن مانِعَه إسار
وبغِرَّةٍ جاء الخُوا ر فكاد يُوقِعُهُ انبِهار

(١) الصندل خشب الصندل .

(٢) صل أفعى . هيكل ضخم .

(٣) شبا وقف .

وارتـــاع خـوفـــا أن يـــئِـنَ   فسوف تـلـــحـظـــه الـجـوار
ورآه دمـــنـــةُ كـــان يــــر   قب جـاء يـدفـعـه شِـعـار

* * *

الـحَـــظُّ عِـــنْـــدَ بنى أبى   كـــالوَمْض لـــلْـمُـــتَـــرَقِّبِ
فـاسرِعْ بـقـبض الـمَـطْـلب   كـالصَّـــقْـــر أوكـالأَشْـهَـبِ[1]

* * *

وإلى المـلــــــــيك أتى لما   بـعـد الـذى عَـلِـمَ انـتظارُ

قال المفكر دمنه

مالى أرى المَلِكَ الكريمَ يُقَفْقِفُ   وكأنه من صوت جِنٍّ يَرْجُفُ
وأَمـــال رأســـاً فى دهـــاء   وكـــأنـــه عَـــرَفَ الحيـــاءَ

قال المليك لدمنهْ

مـا خِـفْـتُ يومـا من هَـديـ   ـر الكَـوْنِ فى رَغْـدٍ عجيبِ
لـــكـــنـــه هـــذا الـــهَـــزيـ   ـمُ إخـالُـه مِـثْـلَ النَّـحِـيب
ـهو مُـــحْـــزن لى لـــيس إلا   هـل عَـلِـمْتَ بـذا الغريب

قال المفكر دمنه

لا تَـــخْشَ مما قـــد سَمعـ   ـت وإن جَهِلْتَ بما كَمِنْ[2]
صَـوْتـــا لأِنْس كـــان هـــ   ـذا الـغبيبُ أوصوتـا لِـجِـنْ
هَلاَّ عَـــرَفْت بما يُـــقـــا   ل لِـمَـنْ يَـهيم بما يَـعِـن

(١) الأشهب الاسد
(٢) كمن إستخفى .

سيكون شأنكَ شأنَ ذِئْـ بٍ خال صَيْداً ما يَرِن

قال المليك لدمنه

قل كيف ذلك دمنه

قال المفكر دمنه

أسَفى لسبعٍ يَغْوى نَحْو الدَّغيلة يَلْوى[١]
الأسد : حتى يصيدَ لَحيما

دمنه : في الصَّيْد لا يَتَروَّى وبعَزْمِهِ يَتَقوَّى
الأسد : يَحْيا القويُّ كريما

دمنه : فاعجَبْ لِخَيْبةِ ذئبٍ بين السباع كَذُبٍّ
الأسد : مَنْ خاب بات سقيما

دمنه : قد مَرَّ بالفَلَواتِ والصَّيْدُ ليس بآتِ
الأسد : صبرٌ يطول قويما

دمنه : دَخَل الدَّغيلةَ أوْنا ما كان يطلب عَوْنا[٢]
الأسد : مَنْ ذا يُطيقُ غريما

دمنه : فأتى إليه دويٌّ صَوْتٌ يَرِنُّ قويٌّ
الأسد : سِرٌّ يُريد عَلِيما

دمنه : وتملكتهُ ظُنون واحتار كيف يكونُ
الأسد : ذِئْب وليس فهيما

(١) يلوى يسير اليها .

(٢) الدغيلة الشجر الكثيف . أونا مشى رويدا .

دمـنـه : مُـتَـسَـلِّـحاً بخيالِ مُـتَشَوِّقـاً لـغـزالِ
الأسد : لا شيءَ يعدِلُ رِيما

دمـنـه : حَـوْلَ المكان يطوفُ ولَـهُ فى الصـيـد أُنوفُ
الأسد : نِعْمَ المُجِدُّ حلِما

دمـنـه : والسِّرُّ كان لطبلةْ أَمْـرُ يَـبِـينُ لأَبْـلَـهْ
الأسد : صَوْتٌ يرنُّ عِقَما

دمـنـه : مِـثْـلَ النِّهار تَـدلَّتْ بين الـغصون وَشُـدَّتْ
الأسد : حُسْنٌ يُطِلُّ قَسِيما

دمـنـه : أَحَـدُ الغصون تهادى ومـع الـريـاح تمادى
الأسد : ليست تسيرُ نَسِيما

دمـنـه : كـان الـدوىُّ قويـا فى السَّـمْـعِ بـات شـهـيـا
الأسد : مَنْ ذا يردُّ نَهِما[1]

دمـنـه : فَـرَقَـى للطَّـبْـلة وثبا وَعَـوَى يُـزَمْـجِـرُ نَـبَّـا[2]
الأسد : غِرٌّيُريد شَجِيا

دمنه : سقط المُغَفل يَعْوى والصوت كـان يُـدَوِّى
الأسد : خَيْراً يعيش بَكِيما[3]

دمنه : مِنْ بعدها قد عاش يَتْـ ـبَـعُ مـا يـرى . لا مـا يَـرِنْ

(١) النهم الأكال ولا يشبع .
(٢) النب الصياح عند الهياج .
(٣) البكيم الأبكم

هـــذا المثـــال كما رأيـــت يجئ يـــأمـــر نـــاظـــرا
ألاَّ يسير وراء غَـــــيْـــب لـــيس يـــبـدو ظـــاهـــرا
من ذا يسير إلى سَـــــرا ب ثم يـــرجـــع ظـــافـــرا
فـــإذا أذِنْتَ وإن أمَـــرْ ت فسوف أكْشِـف هـــادرا
وأعود بـــعـــد تَـــيَـــقُّـنٍ مِـــمَّـــنْ يُـــهـــدِّدُ خـــائِـــرا

قال المليك لدمنه

إنى أَذِنْتُ ومـــا إخـــا لُ سِـوَى ابنِ آوى قـــادرا

* * *

وانساب دمنةُ مسرعاً مُتَشَمِّرا ويقول إن الحَظَّ جاء مبكرا
قد كان يعلم ما الخُوار وَإنمَّا التَّـ ـدْبير يَـأْبى أَنْ يُـبِـينَ تَـذَكُّرا
أمَّا المَلِيك فقد أقام مُفَكِّرا فيما جرى مُـتَـخَـيِّلاً وَمُـقَـدِّرا
وفؤادُه بين الظـنون مُـبَـعْـثَـرٌ ما بين أَشْتات وبات مُـحَـيَّـرا
مُتَخوفا من أمر دمنةَ كيف يَأْ مَنْ لِلْغَريب وكيف صار مُسَيَّرا
فى الغار كاد يصيح من هَوْلِ الشُّكو كِ مُـسـائلا لـفـؤاده ومُـحَـذِّرا

واحَسْرتا واوَيْلَتاهُ

ويْلى فإنى قد ركـنت لقاصدٍ امـرا بباب العَرْشِ كان قـعيدا
لَـمْ أَدْرِ يوم أتى حقيقةِ أمرهِ خَـيْـرا وشَـرًّا كَـىْ أكون رشيدا
ولـقـد بعثت بِـهِ وما جربتهُ كيف الرُّكون لمن يطوف شريدا
وإلى العَدُوِّ مضى بِسِرِ صُنْتهُ مـا كـان مَـيْلى للغريب سَـديدا

* * *

واحسرتـا أيـن الصـفـاء لـقـادمٍ يَبْغِي الفِـرارَ لِما رأى من ظالمِ
من عاش يصْـلى الظُّـلْمَ في ماضيه أَضْـ ـمر حقدهُ ولئن بدا كَـمُـسالمِ

* * *

واحسرتـا كـيـف الـوِئام بغاصبٍ يسعى لِيَرجع حَقَّهُ من غاصبِ
قد ظل يأملُ عَـوْدةً لحقوقه حتى تَـوَقَّـدَ قَـلْـبهُ كـمحاربِ

* * *

واحسرتـا أيـن الإبـاء لـطـامـع أحلامه كَـثُـرت كَبَـحْـرِ مطامعِ
ما مِـثْـلـه يوما تَـقَـرُّ عُـيُـونُهُ والرَّمْـسُ لا الأموال رِيٌّ مدامعِ[1]

* * *

واحسرتـا كـيـف الأمـان لـيـائس كَرِهَ الحياة فصار أَعْبسَ عابسِ
هو مِنْ قُنوط ليس يأبى سَقْطةً نحو الظلام مُسَـرْبلا بـد سائس

* * *

واحسرتـا أيـن الـعـهـود لـفـاعـل جُرْما ويخشى من عِقاب عادلِ
خوفَ القَصاص لسوف يقبل راضيا مَحْوَ البَـرِيَّةِ قبل حُـكْـمٍ نازل

* * *

واحسرتـا كـيـف الـوِفـاق بـكـائد مُـتَـحَـقِّـدٍ يسعى بقلبٍ جامدِ
تَـتَـنـافَـرُ الأَحْـوال فيما بيننا خيرا وشرا فهو أَحْسَـدُ حاسد

* * *

(١) الرمس تراب القبر.

واحسرتـا أيـن الحيـاءُ بـذاهب بين السباعِ إلى غريب مذاهبِ
من عاون الأعداء ضِدَّ طريقنا أوقاتل الأَحْباب ليس بصاحب

* * *

واحسرتـا لوكـان دمـنـةُ واحـدًا مِنْ هؤلاء
سـيـخونُني والأمـرُ صـعـبٌ إنْ تجرَّدَ مِنْ وَلاء
كـيف الـرُّجوُعِ لما مضى حتى أُبـاعـد عن بلاء
واحسرتا واويلتاهُ

قـد بـات دمـنـةُ لـلـعدُوِّ مُـعـاونـا مُـتـوَدِّدا
يُـفْضِى بـأَسْـرارِى وعَـنِّـى ذاهـبـاً مُـتَـمَـرِّدا
ظَـنِّـى الـعَـدُوُّ أَعَـدَّ جَـيْـشـا كى يجيءَ مُـهَـدِّدا
بِـعَـجائب فى الحرب يَضْـرب فى الـقـريب مُشَـدِّدا
واحسرتا واويلتاهُ

وتـثـاقـلـت أفـكـارهُ ظَـنًّـا وما أَجْـدى الـذكاء
وتَـحَـيَّـرت نـظـراتُـهُ بَـلْ كـاد يـغـلـبـه الـبـكاء

* * *

صَوْتٌ تَـخَـلَّـلَ أُذْنَـهُ رِكْـزٌ فـكـذَّب ظـنَّـهُ[1]
وازداد هـذا الصوت قُـرْبـا لم يسـائـلْ عـيـنـه
وأَصَـرَّ آذانـا وقـومٌ فى عـنـاد وَهْـنَـه[2]
وأتـاهُ دمـنـةُ صـائحا فَـرِحـا فـأرجَـعَ أَمْـنَـه

(١) الركز الصوت الخفى .

(٢) أصر آذانا نصبها للاستماع . الوهن الضعف .

ومضى يسائلُ دمنهْ

ما ذا رأيت لَعَلَّ خيرا

قال المفكر دمنه

قد كان هذا الصوت ثَوْرا وَخُواره قد جاء نُكْرا

قال المليك لدمنه

ماذا يكون الثور فِكْرا كَمْ كان يعلو الجسم قَدْرا

ما كان يكفى الإِسْمُ ثورا

قال المفكر دمنه

حدثته فرأيتهُ فى فِكْره لا عقلَ لَهْ
حاورتُهُ فوجدتُهُ مِنْ ضعفِهِ لا حَوْلَ له
قَدَّرته فعلمتُهُ فى قَدْرِهِ لا وزن له
وخَبَرتهُ ففهمتهُ فى شَأْنه لا حَظَّ له
أسقطتُهُ وتركتُهُ فى حاله لا فعْلَ له

قال المليك لدمنه

إنى أراك وقد خُدِعْتَ بِهِ وَأَراهُ حين رآك ما اهتمَّ
كالعُشْب يَثْبُتُ للهَجُوم وحقَّ القولُ إنَّ العُشْبَ ما اغْتَمَّ[1]
وَسَلْ النَّخِيل إذا سألت لما غَيْرُ النخيل دَرَى بما تَمَّ

(١) الهجوم الرياح الشديده .

قال المفكر دمنه

لا تَـــأْبَـــهَـنَّ بِـــهِ فما   أســـدٌ لِـــثَـوْرٍ يَـــنْـــظُـــرْ

إنْ كـنت تَـجْـهـل ما يكو   ن الـثور حَسْـبُكَ تَـأْمُـر

سَـتَـراه أصـبح طَـوْعَ أَمْـ   رك مِـنْ خَـيـالك يحذر

* * *

سَـأَسُوقُـهُ يـأتيك قَـهْـرا   وَتَـرى أمـام الـغـار ثورا

قال المليك لدمنه

إذْهَـبْ وَعُـدْ بالثور فورا

* * *

الفصل الرابع

العهد

وانساب دمنةُ آيضا   للثور يمشي وافِضا(١)
وأتى لشتربةٍ وظَلَّ   يَدُور ذألاً عارضا(٢)
ورآه شتربةٌ فقا   م لهُ يُحَيِّي ناهِضا
لكنَّ دمنةَ قد نجا   هل بل تَجَهَّمَ رافِضا
وأشار نحو الثور هَيَّـ   ـا وَهْوَ يصرخ جَاهِضا(٣)
والثور يرقُبُهُ بِعَيْـ   ـنيهِ وَيَعجب رابِضا
وأعاد دمنةُ أمرهُ   والثور يسمع آمِضا(٤)
واهتاج دمنةُ ثم صا   ح كفى فلستُ مراوِضا(٥)
باسم المليكِ لتسمَعَنَّ   وكالعبيدِ لتَخْضَعا
إنْ جئت فورا فالأما   نُ وَإنْ عَصَيْت لأرِجعا
لَوْقلت لاسترى الإبا   ء تَضِرَّةً وَتَرَوُّعا(٦)

قال المُبَجَّلُ شتربهْ

مَنْ ذا رَماك لِكَيْ تَكِيـ   لَ إليَّ قَوْلاً مُفزِعا

قال المفكر دمنه

إنْ جِئْت طَوْعاً إنَّهُ الأسدُ   أوشِئْت رَفْضاً إنَّهُ الكَمَدُ
مَلِكٌ على هَذِي البِلا   دِ وَكُلّ أرْضٍ مُسْبِعَهْ(٧)
خَضَعَتْ لَهُ شَرُّ الوُحو   ش المُهْلكات المُفْزعهْ
وَلَدَيْهِ جُنْدٌ في قِلا   ع إنْ عَصَيْت أتَوْا معه

(١) آيضا عائدا وراجعا . وافضا مشى مسرعا .
(٢) ذألا مشى بخفه . عارضا محاذيا .
(٣) جاهضا فيه حدة نفس .
(٤) امضا غير مبال .
(٥) المراوضه المداوله .
(٦) تضره ضرر.
(٧) مسبعة فيها سباع

واجيش حَشْدٌ من سبا ع مَنْ تَصامَمَ أَسْمَعَه

* * *

فأتى لشتربةٍ دُوارُ عَبَثاً يُطاوعُهُ خُوارُ

قال المبجل شتربهْ

حَسْبى تُعاهدنى إذا ما جئت أن أَلْقى أمانا
لأسيرَ جَنْبَكَ نَحْوَ سَبْعِكَ كيف شِئْتَ وأين كان

* * *

أعطاهُ دمنةُ كاذبا ما يَبْتغيهِ من الوُعُودِ
وأطاع شتربةٌ لما عَرَفَ الخيانةَ فى العهود
ومشى ودمنةُ سابقٌ رَمَلا بِعَزْمٍ كالجنود(١)
وهناك بين الجُنْدِ را ح السبع ينظر للجديد

* * *

للثور قال مُرَحِّباً ياثورُ هذا اليوم عيدى
أفديك ضَيْفى بالمَغا رَةِ لا عَدِمْتُكَ بَلْ بجِيدى

* * *

وتعانق الضدّانِ حُباً بِلا أَضْغانِ

* * *

(١) رملا هرولة .

فانظرْ لشتربةٍ يُلازم فى الرُّبَى ملك السباع لما تَهَيَّبَ أوكَبا
قد نال مرضاةَ المليك وحُبَّهُ فى الجِدِّ أو فى اللَّهْوِ كان مُقَرَّبا
والسبع صادَقَهُ وصارا صاحبيـ ـن جرى إخاؤُهما نَقِياً طَيِّبا
والشور ينصحه بفِطْنة عالِمٍ والسبع يسمعهُ وينظر مُعْجبا
حتى القضاءُ جرى بحكمتهِ وما يَبْغيه أو يُمليه أصبح مَذْهبا
والغاب ساد بها الوئام فلا خِلا فَ ولا عداء يدوم فيها ناشِبا
وكأن دمنةَ قد أُصيب بمِحْنةٍ وبسَوْرةِ الأحْقاد بات مُعَذَّبا[1]
فأتى لصاحبه كليلةَ ثائرا مُتَحَيِّراً مِماً يرى مُتَعجِّبا
ومضى يُزَمْجِرُ لائِما مُتألما متسائلا فيما جرى ومُقَطِّبا

***

ماذا جرى أفَلا ترى إنِّى لأعجبُ ياكليلهْ
ما عدتُ أفْهم ما أرى كيف السباعُ هَوَتْ ذليله

قال الأديب كليله

ماذا بِظَنِّكَ قد جرى حتى تَنَدَّت منك قِيلَهْ[2]

قال المفكر دمنه

الشور عند السبع أصبـ ـح فى مَقام ناصحا
وهو الذى ما عاش إلا خائرا أو ناطحا

(١) سورة حدة وسطوة .

(٢) تندت شردت ونفرت .

أغْـــيِـيتُ أُدْرِكُ مــا جَــنَــيْــ ت بما فــعــلت فــلم أَجِــدْ

* * *

قَـــــدَّرت أَنِّــى سوف أَغْــ دو فى حــيـــاتى نــاجــحــا
أَرْضِى المـلــيكَ وطــال عَــهْــ دى فى جِــهـــادٍ كــادِحــا
حــاولت جَــهْــدى فى اقْــتِـدا رٍ بــل عِــنـــادٍ لم أَجِــدْ

* * *

فـالـنور قــد سَــلَــكَ الــطريــ ق إلى شُـــروقٍ صـــاعـــدا
وأنـــــا أسير كما تـــــرا نى فى غـــروب قــد بــدا
شَـــيَّــدْتُ مــا قَــدَّرْتُ مِــنْ آفـــاق عُـــمْـــرٍ لم أَفِــدْ

* * *

سَـــأَلُـومُ عَـــقْلى لو أَلُـومْ وأَدُومُ أبــــــكى لو أدومُ

وأنا المُعَذَّب والمَلُومُ

لا أُفُــقَ يُشْــرقُ بــالــبَــيــانِ أو دَرْبَ يُــوصِـــلُ للأمـــانِ

والقلب يجهل ما يَرُومُ

أُنْسِــيتُ نــفسى من أكونُ ومَحَوْتُ طِرْسى ذا جنونُ(١)

(١) الطرس الصحيفه .

وغَدَوْتُ تَشْمَلُنى الكُلوم[١]

لا ضُرَّ أرسلهُ زمانى أوشَرَّ جاء به مكانى

بِيَدِى تُطَوِّحُنى الهُموم

أَهْوَيْتُ مُؤْتَمِراً بِأَمْرى يامَوْتُ زُرْ أَفْنَيْتُ عُمْرى

والكأسُ تملؤُها السُّمُوم

أَلِغَايَةٍ أَقْتَصُّ مِنىِّ أَمْ عَنْوَةً يَجْرى التَّمنى[٢]

الشَّمْس تسأل والنجوم

سَكَنَ الزمان وَجَفَّ دَمْعى ياليتنى أَصْمَمْتُ سمعى

بالأمس واستمعت غُيوم

وانسابَ دمنةُ شاكيا أَلَماً وأجْهَشَ باكيا

قال الأديب كليلة

يكفى بُكاؤُكَ دمنهْ خَوْفى تُصِيبُكَ جِنَّةْ[٣]

الدمعُ إنْ مَلأَ العُيو نَ مَحا التَّحَسُّرُ فِطْنه

(١) الكلوم الجراح.

(٢) عنوة قهرا.

(٣) جنة جن.

قال المفكر دمنه

لا شيءَ يُثلجُ نَفسى إلّا الرُّجوعُ لأمسى
ليت الزمان يُعيد أمْـ سى كى أعودَ ليُسْرِهِ
ليت الزمان يَرُدُّ يَوْ مى عن تفاقُمِ عُسْرِهِ
ذهب الأمان بخيرِهِ وقضى الزمان بشرِه

وَغَدٌ يُطِلُّ بِنُكْرِهِ

كَمْ بِتُّ أَرْقُبُ أمْرى وأنا أُكابِدُ صبرى

فرأيت كيف أُعانى

أصبحت أذكر عمرى والثور ليس بفِكْرى

وأنا صَفِيُّ زمانى

وَأَقَمْتُ أنظر خُسرى والعقلُ يرفض عُذْرى

فالثور نال مكانى

أرسلت للغَدِ فِكْرى فوجدت يلزم ثأرى

حتى يعودَ كِيانى

العدلُ يأبى أن أهُو نَ فكيف هان ابنٌ لآوى
لولاى ما عَلِمَ المليـ كُ بِهِ ولا فى الغاب آوى

هَيْهاتَ أَنْ يَرْقَى الوَضِيـ ـعُ وكيف أَضْدادٌ تُساوى
الجُرْح يَأْبى يا كليـ ـلةُ أن يُضَمَّدَ أَوْيُداوى
لابُدَّ لِى مِماً يُزَحْزِحُهُ عَنْ عَالَمِ الأَدْغال والجَأْشِ

وكما أبى يَرْتَدُّ بالأمرِ

لابُدَّ لِى مِمَّا يُطَوِّحُهُ حتى أعودَ لسالف البَشِّ(١)

مَنْ ذا سيُنْكِرُ أن لى عُذْرى

لابُدَّ لِى مِمبا يُطَرِّحُهُ فى قَبْرِهِ ومكانَهُ أَمْشى(٢)

وَلِذا يَحِقُّ الموْت للثورِ

وَرَنا كليلةُ نَحْوَهُ ماكان يقبل هَفْوَهْ
ومضى يحدِّثُهُ لعلَّ النُّصحَ يَرجِعُ صَفْوَهْ

قال الأديب كليله

الحق ليس كما تقولُ فالثور شربةٌ ذَلُولُ(٣)
والسبع قَرَّبَهُ لخَيْـ ـرٍ ليس تُنْكِرُهُ عقول
فالثور ناصِحُهُ بِعِلْـ ـمٍ لاتُدانيهِ فُحُول
قَالْ كيف يأتى الشَّرُّ مِمَّـ ـنْ كان للتَّقْوى يؤول
بالعدل يحكم دائما للخير يسعى لو يطول

(١) البش البشاشة .
(٢) يطرحه يرميه ويبعده .
(٣) ذلول فيه رفق ورحمه

لا لن أرى رأيا خطيرا لا يُؤيِّدُهُ دليل

أنا لا أرى ما لا يرى

قال المفكر دمنه

هَلا ترى كيف المخاطر تَكْثُرُ ... مِنْ حَوْلِ مَنْ فوق العَشيرة يأمُرُ
لو كان يأبى النُّصْحَ والشِّـ ... ـورى لأَعْوَزَهُ الوِفاقُ
هلا ترى كيف الحوادث تغدرُ ... بِفُجاءةٍ أو فى قليل تُنْذِرُ
فإذا تَأَتَّتْ مِنْ صِحا ... ب كيف تُدْرَأ أو تُطاق
هلا ترى كيف العظائم تَزْجُرُ ... مَلِكاً لِيَنْهى النفس عَمَّا يَضفُرُ
مِثْلَ الهوى مِمَّا يَهِيـ ... ـمُ بِهِ ويَعْتادُ الرِّفاق
هلا ترى كيف القساوة تأْسِرُ ... مَنْ كان فَظًّا لا يَرِقُّ ويَشْعُر
فَيَخُوطُهُ كَذِبٌ يجى ... ءُ بِهِ على خَوْفٍ نِفاق
هلا ترى كيف الحماقة تَقْصُرُ ... عن غايةٍ بالخَلْطِ فما يَصْدُر
والخُرْقُ أشْتاتٌ يُجا ... فيها التَّناسُبُ والسِّياقُ (١)
هلا ترى كيف الليالى تَجْهَرُ ... بِمَخاطر فى الغَيْب كانت تُضْمَر
وهو الزمان وليس يَحْـ ... ـكُمُهُ بِسياق أو وِثاقُ
والسبع فى ظنى تُهَدِّدُهُ المخا ... طِرُ منذ أَنْ أَلِفَ الغريب وَقَرَّبَهْ
فالثور بين الجُنْدِ دَبَّرَ كيف شا ... ء فَإِنْ لزِمْتُ الصَّبْرَ حَقَّقَ مَطْلَبَهْ
وكما قَدِرْتُ عليه يوم قُدومِهِ ... سَأُعاودُ التَّرْويضَ حتى أَغْلِبَهْ

(١) الخرق الحمق .

قال الأديب كليله

قد خاب رَأْيك حدسا وأتى قرارُكَ رِجْسا (١)
أنظرْ بعين العقل نحـ ـو الشور سوف تراه كُفوا
وإذا رَجَعْتَ لِعِلْمِهِ ولحَجْمِهِ سيكون أقوى

قالَ المفكر دمنه

دَعْ جانبا حَجْمى القليـ ـلَ فما القليلُ بِضَعْفِ
لا شئ يدْرِكُ غايةً متجرِّداً مِنْ ظَرْفِ
والعَيْن تَصْعدُ للسما ء إذا نظرت بِطَرْف (٢)
والسُّمُّ ليس قليلهُ بمُباعِدٍ عن حَتْفِ
والفَهْم ما وَعَتِ العقو لُ وصوِّرَتْ فى لُطْفِ
والشور حَجْمٌ أجْوَفٌ يُؤْتى الخُوارَ كَلُفٌ
وبفِطنتى ما قد تردَّدَ عن غُرا بِ غالَ أَرْقَمَ ما أُصِيبَ بنابِ (٣)

* * *

(١) حدسا توهما .
(٢) الطرف طرف العين
(٣) أرقم أفعى فيها سواد وبياض

الفصل الخامس

الغراب والحسناء

قال الأديب كليله

قل كيف ذلك دمنه

قال المفكر دمنه

زوج من الغربانِ — عاشا على الأفنانِ

بنيا الحياة بوكن — متكامل الأركانِ

في دوحة سمقت تفا — خر أيّما بستان

وبقربها جُحْرٌ لأر — قمَ كان كالشيطانِ

رُزِقا بخمسة أفرخٍ — في فرحة وأمان

في عُشّهم ضَمّا الفِرا — خ بِحرِقّةٍ وحنان

لَمْ يَعلما بمُخادع — أدهى من الغيلان

يَسْقي الهلاك بنظرةٍ — مِنْ بَعُدها النَّابان

في جُحره لونام لا — تَغفو لنه عينان

وإذا أحَسَّ الجوع جَدَّ — لأقرب الجيران

وأَتْبَتُهُ زَقْزقة فلم — يَنِ أو يقرَّ لوانٍ [1]

كانَ الغراب مُبَاعدا — لم يَدْرِ بالوَسْنان

(١) ينى يفتر.

لَمَّا تحرك زاحفاً وأحاط بالأغصان
مُتَدَلِّفاً للعُشِّ زَحْـ فا خافيا كجبان
للأم أظهر نفسهُ في بَغْتَةٍ كالجان
طارت لتعلنَ في صِيا ح قَسْوةَ الطُّغْيان
فاز اللئيم بواحدٍ مستَوَعَّداً للثاني
للجحر عاد لكي يبيـ تَ منعَّمَ الأجفان
في كل يوم وجبةٌ فرخٌ بلا خِشْيان
حتى انتهى من خمسة لم يَشْكُ مِنْ حِرْمان
ماهَمَّهُ حَقُّ الجا ربات في الأحزان
في الجحر يرقد غارقا في النوم باطمئنان
في العش ينعبُ ناكل في فَزْعَةِ الفُقْدان
يشكو فداحة ما جرى من جاره الخوان
ومضى يفكر كيف يَثْـ أرُ دون ما نِسْيان

* * *

يوما سعى مُتَجَهِّماً لطعامهِ مُتَجَشِّماً
ورأيتُهُ مُتَهَدِّما فسألتُهُ مُتَفَهِّماً
فأتى إليَّ مُسَلِّما يبكي ويشكو الأرْقَما
ومضى يَنُوحُ تَألُّما لفِراخه مُتَرَحِّما
في حُرْقَةٍ مُتَلَعْثِما وبحاله مُتَبَرِّما
وسمِعْتُه متكلما يَبْغِي انْتِقاما صارما

للشأر من طغيانِ سأجئُ للثعبانِ
في رأسه عينانِ بفجاءةٍ أفقأهما

* * *

في التوِّصِحتُ مُقوِّما تفقأهما ما أوخما
بفُجاءةٍ ما أسخما هلاَّ ترى ما أدهما(1)
ستموتُ من قبل الصِّبا حِ أوالنُّواحِ بقولِ(ما)
أوما علِمْتَ بما جرى مثلا عن خيبة المُتحذلِقِ العُلْجومْ(2)
لمَّا دَهَى السَّرطانَ واقْتَتَلا فأصابهُ السَّرطان في الحُلْقوم

قال الغراب وكيف ذا

فمضَيْتُ أروى ما علِمـ ـتُ لكى أُبصِّرَ جِهْبِذاً(3)

* * *

وَيْلٌ لَهُ العُلْجومُ الطَّاعمِ المَنْهومُ
مِنْ حُبِّهِ الأسماك طا ل الجِيدُ والحُلْقوم
حتى يكونَ حِيالَها وَسِلاحُهُ خُرْطوم
فرْخا يُتابعها بِهِ يصطادها ويعوم
شَرْخا يغوص مُطاردا سَمَكاً عَلَتْهُ شُحوم
لَهُ في الطَّعام تذوُّقٌ وَيَظُنُّهُ سَيَدوم

(1) سخم صار اسودا .
(2) العلجوم طائر بحرى
(3) الجهبذ النقاد الخبير .

وأتى المَشِيبُ ففارَقَتْـ ـهُ قُوَّةٌ ولُحوم

ومضى يفكر فى المصيـ ـر وفى الحياة هموم

يَوْماً يصيد وعَشْرَةً عَجْزا تراه يصوم

وَمُقَطَّباً تَلْقاه مِنْ جوع بِهِ مَضْدوم

بانَ العبوسُ بِوَجْهِهِ وكأنه مَرْسوم

هيهاتَ صَيْدَ قادمٌ يغْنى بِهِ المَحْروم

يوما أتى السَّرَطان يَنْـ ـظُرُ نحوهُ ويَحُوم

مُتَعجبا مِنْ حاله ناداهُ ياعُلْجُوم

***

مالى أراك مُقطَّباً مُحْدَوْدِبا وهل المشيب أضاع ما مَنَحَ الصِّبا

سَبْعَ البِحار لِمَ العُبُوس ووقفةٌ طالَتْ فهل يَخْشى المَشِيبُ تَكَسُّبا

***

فَرَنا له العلجوم صَمْـ ـتاً كان يَقْدَحُ فكرهُ

مُتَحدثا فى سِرِّهِ هذا سأكْسِب خيره

***

ذا أنه الثَّرْثارُ ما غَيْرَهُ أختارْ

فَلِسانُهُ الدَّوَّارُ مِنْ دُونِهِ أحتار

وأجاب ياسرطانُ قَرَّ بْ إنَّ قَوْلى سِرّْ

حُمِّلْتُهُ مُتَصبِّراً مِنْ هَوْلِهِ سَأَخِر
ما كنت أحْسَبُ أن هـ ـذا البحر ليس يَسُر
في العين بات مُنَفِّراً وَبدا وفيهِ المُر
إنْ عِشْتُ يَوْمي غافلا فَغداً سَيَقْدُمُ ضُرُّ
ما مثلهُ مِنْ نَكْبَةٍ أو فوق ذلك شر
ليْتَ أباعدُ مُسْرِعاً وَيْلاهُ كيف أفِر
فأجابهُ السَّرطان سِرُّ لكَ في الفُؤادِ يَقِر
قدْ هام بالأسرار والـ أسْرارُ منه تَفِر

* * *

فَدَنا مِنْ العلجوم يسألهُ لِيَنالَ سِراً ثُمَّ ينقلُهُ
عجباً أراك مُفَكِّرا مُتَهيباً متحيرا
ولقد حَييتَ العمر تَمُـ ـرَحُ في البِحار مُشَمِّرا
ماذا ألمَّ مُهَدِّدا حَتَّى تُرى مُتَأَثِّرا
إنِّي حَفِيظُ السِّرِّ فاذْ كُرْ ما تظنُّ مُكَدِّرا
فأجابهُ العلجوم يهـ ـمِسُ كاذبا وَمُصَوِّرا

* * *

بالأمسِ كُنْتُ أصِيدُ سمكا وَكِدْتُ أفيدُ
فأتى إلى سمعي حديـ ـثٌ ما لَهُ تَرْديد

لم أنْسَ حَرْفاً كيف أنـ سى لو أردتَ أُعِيد
رَهْطٌ مِنَ الفِرْسان جا ءوا رأسُهُمْ صِنْديد
فوقَ الجِياد رأيتُهم كُلٌّ فتى وشديد
وقفوا وقد حَمَلوا الشِّبا كَ وإنَّها لتَصِيد
هذا يَقِيناً ما رأيـ تُ وإنَّهُ تَهْديد
قد قال أوَّلُهُمْ أرى أنَّ المكانَ فريد
وسمِعْتُ ثانيَهم يقو ل الصَّيْدُ فيهِ حميد
ورأيت ثالثَهم علا مِنْ صَدْرِهِ تَنْهيد
وأجاب رابعُهم بظنٍّ ى إنَّهُ لَجَديد
وسمعت خامِسَهم يقو ل الكسبُ مِنْهُ زَهِيد
فأجاب قائدُهُمْ كَفَى فالخُلف سَوْفَ يَزيد
هذا الغدير كما أُقَدِّ رُ عُمْقُهُ مَحْدود
أسماكه البَلَمُ الصَّغِيـ رُ وَجُلُّه مَرْدود[1]
وَهُناك بعد التَّلِّ بَحْـ رٌ واسعٌ وَتَليد
يَحْيا بِهِ السمك الكبيـ ر وَطَيِّبٌ مَنْشُود
فإذا انتهينا من هُنا لَكَ إلى هُنا سَنَعُود

***

وَمَضَوْا وَبِتُّ كما ترى مُتَحَيِّراً ومفكرا
مُتَخَوِّفاً مِمّا يُهَدِّ دُ مِنْ حديث قد جرى

(١) البلم السمك الصغير.

والدمع مهما فاض ليس ينافعٍ وأخاف يَدْهَمُ بالشِّباك شَدِيدُ
مَنْ كان يَبْغى الصَّيْدَ ليس بتارك طَيْرا كَعُلْجوم وسَوْفَ أبِيد
وغداً أراك مُسَرْبَلاً بِشِباكِهِمْ وأرى الزّمان قَضى وليس يَحِيد

الوَيْحُ لى والوَيْحُ لَكْ
والوَيْلُ لى والوَيْلُ لَك
ما فى اقترابِ الموتِ شَكْ
خُطُواتُهُ حَيْن وَدَكْ[1]
مَكْتوبه مِنْ دون صَك
مَعْقوده من غير فَك
ما خان عهدا أو أَفَك
يَسْقِى السُّكوت لِكُلِّ فَك
كُلٌّ سَيَغْرُبُ فى فَلَك
مُتَجَرِّداً مِمّا مَلَك
فى بَطْن وَادٍ قد حَلَك
لا شمسَ تَصْحَبُ من سَلَك

(١) الحين الهلاك والمحنة . دك دق .

أو بدر يُؤْنِسَ من هلك

أو جِنَّ يُنقذ أو مَلَك

والموت أقدرُ من حَبَك

من ذا يُحِيط بما عَرَك

لم يُخْفِ سِراً فانْهَتَك

أو يَنْسَ نَفْساً أو تَرَك

أو حار يوما فارتبك

أو عاد يرقأُ ما سَفَك

وغَداً سيجمعُنا شَبَك

كيف النجاة من الشَّرَك

أين الفِرارُ من الدَّرَك(١)

والبحر في يوم يُسَمَك(٢)

لا مِنْ طيور أو سمك

الويح لى والويح لك

والويل لى والويل لك

(١) الدرك اللحاق .

(٢) يمك يمتص .

من جاء نحو البحر للسمكِ لى أولِمبثْلِكَ جاء بالشَّرَكِ
وتَسَمَّعَ السَّرطان قَوْلَةَ ماكِرٍ في غفلةٍ أَغْمَتْهُ لم يُنْقِذْهُ شَكْ

* * *

وسعى إلى الأسماك يُمْطِرها بمَقالة كالمَوْجِ يَنْشرُها
وتجمَّعَتْ مِنْ حَوْلِهِ لِتَسا ئِلَهُ وراح الغِرُّ يُنْذِرُها
وَأَشاع كالمَفْتون قَوْلَ عدوٍّ غادِرٍ ومَضى يُجَمْهِرُها
قَدْ جَدَّ فى التَّحْذير يُخبرها وكأنها جُنْدٌ يُعَسْكِرُها

* * *

وتزاكمت أسماكُ مِنْ حَوْلِها أسماكُ
وتلاحَمَتْ وكأنهن يَشُدُّهُنَّ عِراك
وتساءلت كيف المصيـ ر وفى الغَداةِ شِباك

* * *

ومضت إلى العُلْجومِ الصَّاحِبِ المَنْهوم
واستوثَقَتْ مِنْ كاذب عن زَعْمِهِ المَزْسوم
لمضى يُكَرِّرُ قِيلَةً فى أَنَّةِ المَهْموم
طلبت نصيحتَهُ فحا نت فُرْصَةُ المحروم

* * *

قالت له متأدبا ت كى يَفُزْنَ بفكرهِ

لنجاية من حيرةٍ ... لم ينتبهن لشرِّهِ

يا أيها العُلْجومُ ... فى جِيدك الخُرطومُ

إنْ شِئْتَ فوق الرمل سِرْ ... تَ وفى البِحار تموم

تَرْقى الهواء إلى السَّحا ... ب ولو أردت تَدُوم

يَدُكَ اليمين هُنا وفى ... فَلَك الشِّمال نجوم

هَبْنا الطريق إلى نجا ... ة لا رَمَتْكَ هُموم

***

فمضى يقول مُرَفْرِفا ... وَمُخادعا مُتَلَهِّفا

الحق أنى لست أرهب من شِبا ... ك عن قريب سوف تَنْسِفُ شَمْلَكمْ

فأنا كما عَرَفَ الجميع إذا أَرَدْ ... تُ البعد طِرْتُ إلى السَّماء كشمسكم

لكن خوف أن يصير البحر من ... بَعْدِ الشِّباك مُخَوِّفا من بَعْدِكُم

كيف الحياة بِوِحْدَةٍ إنْ شِئْتُ أَمْ ... كُثُ كيف تجرى عِيشَةٌ من دونكم

والخير لى ألا أرى يوم الشبا ... ك ولا ترى عينى نهاية عُمْرِكم

ولقد عزمت على الرحيل فلا أرى ... أملا لكى أبقى كعهدى بينكم

وهناك بعد التَّلِّ بحرٌ لا يُحَدُّ ... ولا يُقاس به أتساعاً بحرُكم

فَإليه أرحل فى غد قَبْلَ الشِّبا ... ك فلست أرضى الموت أَسْراً مِثْلكم

***

قالت لَهُ مُتَذَلِّلا ... تِ كَىْ يَفُزْنَ بِقائِدِ

بــــتــــأدُّبٍ وَتَـضــــرُّعٍ لِـــتَـــخَـــلُّصٍ مِـنْ صــائـد
خُــــذْنــــا بحق صلاحٍ وِمَـــحَـــبَّــــةٍ وَسَماحٍ
يـاخـيـرَ من صَـعَـدَ السما ء على بِـســاط ريــاح
يــاجــارنــا يــاذُخْــرَنــا يـــامَـنْ لــنــا كسِلاح
بُـورِكْـتَ يــاذا الجودِ إنَّـ ـكَ جِــئْــتَــنــا كَـصَـبــاح
لاذُقْـتَ أسراً بــالشَّــبــا كِ ولا نَـــزِيـف جِــراح
خُـذنـا إلى الـبـحـر الوَسِـيـ ـعِ مُـحَـلِّـقـاً بِـجَـنـاح

وكَطَاعَةٍ وَجَبَتْ فَعَلْ

فى كُلِّ يوم ٍ كانَ يَجلبُ فَوْ قَ الـتَّـلِّ أسماكـا لـيـأكلَـها
ما عاد فوق الرمل يَعْجَزُ إن رَامَ التَّلاحُمَ أَنْ يُنَهْشِلَها[1]
وتحسنت أحوالُـهُ وَجَـفا الـتَّـ ـقْـطِيبَ والضَّحِكاتُ أرسَلَها

***

فـــانـــظـــرْ إلى الـسَّـــرطـــانِ فَـــرْنــــارنــــا الـطَّـــنَّـــانِ
قَــدْ قَـلَّـدَ الأسماكَ حُـمْـ قـاً أجْـوَفُ الـبُـنْـيــان
لَـمْ يَـكْـفِـهِ المَـجْـنون أن يحيــا هُـــنـــا بـــأمـــان
فـأتى إلى الـعُـلْـجـومِ يَـطْـ لب رأفـــة الشـــيـــطـــان
فى خَـيْـبَـةِ المَـفْـتون بَـلْ فى غــفـــلــةالوَسْـــنـــان

(١) ينهشلها أكل أكل الجائع .

ويقولُ إنِّي أَعْتَبُ   ما في الصَّداقة مَكْسَبُ
غيري ينال على جَنا   حِكَ ما يُريد ويرغب
وأنا تطاردُني الظنو   ن مُهَدَّداً أتقلَّب
وَغَداً سَدْهَمُني شِبا   ك الصيد كيف المهرب
إلاَّ إذا شئت الوفا   ء محبةً لا تُطلَب
فأجابه العُلجوم إنـ   ي مِنْ هُمومك أعْجَب
هَيَّا لِمَتْنِ جَناحي   بِمَحبتي وصلاحي
ما كنتُ أتْرك صاحبا   يحيا بغير سلاح

***

ومضى به العلجوم يضـ   حك صاعدا للتَّلِّ
لينالَ بعضَ غذائه   ويذوقَ لحم العَلِّ(١)
وهناك أنزل صَيْدهُ   مُتَهيِّأً للثَّلِّ(٢)
وتنبه السرطان قبـ   ل هلاكه من ضَلِّ
قد أدْرك المخبوء مِنْ   هَشْمِ العظام وألّـ(٣)
من حولِهِ نظر العظا   م فما استكان لصَلِّ(٤)
في كَلْبَتَيْهِ سِلاحُه   مِثْلَ السُّيوف لِيَسَل
فَدَنا من العُلجومِ   وَدَهاهُ في الحُلقومِ
ولسانُهُ جَمْدٌ رَحَلْ

(١) العل النحيف الجسم ومن تقبض جلده .
(٢) ثلهم ثلا أهلكهم .
(٣) الأل الطعن .
(٤) الصل الصليل .

وكما تـرى عـنـد السؤالِ   فـالـعـقـل يـأمـر بـاحـتـيـالِ
وأراك تـرجـو الـعـدل فـيـ   مـا شئت لستَ على ضَلال
لـكـنْ لـتَـحـذَرْ حِـيـلَـةَ   لـيـست تَسُـرُّكَ فى مَـآل

* * *

سَـكَـتَ الـغـراب وقـد قَـنَـطْ   لم يَـلْـقَ مـا يُـبْـديـه قـطْ
مـثـلَ الجريحِ بـدا أمـا   مى أَنَّ ثم هَـبَـطْ
ومضى يـنـوح مُـوَلْـوِلاً   ومُـحَـيرا يـأسـا سـقـط

وسمِعْتُهُ يتكلمُ

هيهـات طير يحلُـمُ   والـهَـمُّ أفْـعـى أرْقَـمُ
مـا كُـنْـتُ كـالـمُـلجوم مَـكْـ   راً بـالخديـعـةِ أغْـنَـمُ
أوكـنـت كـالـسَّـرطَـان فَـتْـ   كـاً بـالـنَّـواجـذِ أسْـلَـمُ
وإذا عَـزَمْـتُ على الطَّـعا   ن فـكـيـف سُـمٌ يُـهْـزَم
هِـىَ نَـهْـشَـةٌ وَيَـطِـيُـح بالـ   آجـال موت عَـلْـقَـم

فأجبت حَسْبُكَ تفهمُ

ناهيك حزنٌ يَهْدم

الخوف ضعف يَخْرُم

يكفيك يأسٌ أدْهَم

إنَّ العزيمةَ تَلْزم

حتى تـفوزَ بـغـايـةٍ للـثـأر أنت تُـريـدُها
الأمـرُ يـطـلُبُ حـيـلـة وأرى الـطـيورَ تُـجـيـدها
وإلـيكَ أفـئـدةَ الـرِّجـا ل مـع الـنسـاء قُـيودُها
أمـا الـنسـاءُ فـأمـرُ كُـلٍّ حسـنُـهـا وعُـقـودُها

***

فـعَـلَى الـبُـيوتِ تطـيـرُ صَـوْبَ الـنسـاء تُـغِـيـرُ
تخـتـار حسـنـاءَ تـرى فيهـا الجمال يُـنـير
كـالـبَـرْقِ تَـخْـطِـفُ حَـلْـيَـها في بَـغْـتـةٍ وتَـطِـير
والخيـرُ لو أن الـحُـلِـيَّ مُـرَصَّـعٌ وكـبير
وتـطـير أوْنـا بـالـغَـنِـيـمَـةِ نـاظـرا مُـتَـشـوِّفـا
فـوقَ الـبـيوت تَـدُورُ تَصْـدَحُ عـالـيـا ومُـطَـوِّفـا
عِـنْـدَ الـخَلاءِ مُسـابـقـا لِـمُـتـابِـعـيك مُـرَفْـرِفـا
مُـتَـجَـنِّـبـاً لِـنِـبـالِـهِـمْ واحْـذَرْ تُـرى مُـتَـوَقِّـفـا
وإذا رأيت الـنـاس تَـحْـتَكَ طِـرْ زَفـيـفـاً أَهْـوَجـا[1]
ومتى صـعـدت إلى الـذُّرا فـارجِـعْ وَكُـنْ مُـتَـدَغْـلِجا
فـإذا شـهِـدت الناس كالطُّـوفـان طِـرْ مُـتَـمَـوِّجـا

(١) الزفيف سرعة الطيران .

واجعلْ ذكاءك مَنهجاً نحو العَدُوِّ مُعَرِّجا

* * *

ونجئُ فوق الغادر المُسْتَنْوِمِ تلْقِى الحُلِىَّ على العَدُوِّ الأَبْكَمِ
سترى جُموع الناس فوق المُجْرِم ضَرْباً وَرَجْماً ساحقاً للأَرْقَمِ

طارَ الغُراب بِلا مَزيد تَكَلُّمِ

ومضى لحسناء رآها تغسِلُ خطف الحُلِىَّ وطار وَهْىَ تُوَلْوِلُ
فى سرعةٍ هَوْجاء وَبِخِفَّةٍ عَضْماء
صَرَخَتْ بِصَوْتِ عَذارى والوقت كان نهارا

أُمّاهُ أُختى أَقْدِمى

واوَيْلتاهُ لِمَقْسَمى(١)

مِنْ ذا الغُرابِ الأسْحَم

مِنْ ذا الثّقيل الأسْحَم

مِنْ ذا اللئيم المُجْرِم

الأسودِ المُتَفَحِّم

عِقْدِى بِجيد الأدْهَم

(١) المقسم النصيب .

قُرْطى بساق الأَقْتَم (١)

ما صاح قبل تقدُّم

أو ناح عِنْدَ تَهَجُّم

حتى بشِبْهِ تَلَعْثُم

وَىْ للهَجُوم السِّلْتِم (٢)

كالجِنِّ طاح بِإِبْهَمى

قد كاد يقطع مِعْصَمى

وَأرى على كَتِفى دَمى

صَمْتاً أَتَى كالأَبْكَم

ومضى بصوت الهَيْزَم (٣)

بِفُجاءَةٍ لمَغانِم

أُمَّاهُ أختى أقدمى

مُستَدَ غْلِجا مُتَموجا وإلى العدو مُعَرِّجا

طار الغراب إلى سماء الأرقَمِ والناس كالطُّوفان أوكجهمِ

وعلى العدو الجاثم المُتَكَتِّم ألقى الحُلىَّ بصيحة المُتَنَقِّم (٤)

(١) الاقتم الاسود .

(٢) وى ويل . السلتم الداهيه والغول

(٣) الهيزم الأسد .

(٤) تكتم توقف وتحير وتثنى وتوارى .

وراه يقتل سَخقا فبكى وغَرَّد حنقا

ولوكْنه زَفًّا نزَلْ[١]

وكما رأيت كليلةْ فالأمر يطلب حيله

***

(١) زفا رمى بنفسه وأسرع .

الفصل السادس

الأرنب والمرآه

قال الأديب كليله

هذا علمتُ به ولستُ أراه يحكم بيننا
ومثاله عند اختبار لا يُحقق مأمنا
والخوف أنك صائر فيما يُناقض خيرنا
فالثور شتريةٌ غنيٌ بالفضائل مثلنا
في كل أمر كامل وأراه يفضل بعضنا
فِكرٌ لديه سديدٌ وكذا الخلاقُ حميدُ[1]

ولدى القتال شديدُ

قال المفكر دمنه

الثور يعظم حجمهُ أو قرنهُ حقًّا وصدقا
لكنه في خلقه هيهات طبعٌ فيه يرقى[2]
وإذا نظرت إلى كليْنا في الدهاء وجدت فرقا
وبخدعة سأرى سبيلا ليصيرَ شتريةُ ذليلا
إنّي مصارعه بفنّ الأرنبِ إذ غال ضرغمَ ما أصيب بمخلبِ[3]

قال الأديب كليله

(١) الخلاق النصيب الوافر من الخير .
(٢) الخلق السجية .
(٣) غال أهلك .

قال كيف ذلك دمنه

قال المفكر دمنه

سَلْ عالَم النَّسَمات فى الـ أَجَمات عن لَيْثٍ شديدٍ[1]
عن ضَيْغم مُتَجَبِّرٍ ظَنَّ السباع من العبيد
سَلْ عن دَهِىٍّ ظالمٍ لم يَنْجُ من كيدِ المَصِيد
الأرنبِ الصنديدِ لا الـ ـرعديدِ ذى العقلِ الرشيد

***

سَيُقال فى الأمثال عاش زمانا أسد تَسَيَّدَ فى الخلائق آنا
ما فى الدَّغِيلَةِ والمَفَازَةِ والمُتِيـ ـهَةِ من سباع الغاب كُلٌّ دان[2]
بين الجداول والمَنابع إنْ تقدَّ مَ أو تَسَنَّمَ لا ترى ظَمْآنا[3]
أو كان ينظر من قريب أو بعيـ ـد كل نفس لا تنال ضمانا
فوق النِّجاد أو الوِهاد وفى المَجا هل طَيْفُهُ كالجِنِّ ساد مكانا[4]
وكأنه قَدَرُ المَنون بكل رُكْـ ـنٍ ليس يَرْحَلُ أو يغيب زمانا
حتى الوحوشُ من الذئاب أو الضبا ع ولو تباعد لا تخال أمانا
قد حَرَّمَتْ صيدا وجاعت خَوْفَ بَطْـ ـشٍ كيف تجرؤ أن تَهُزَّ بَنانا
الخوف رَوَّعَها وعَلَّمَ كلَّ وَحْـ ـشٍ أن يعيش مُعَذَّبا ومُهانا
وتَسَيَّد الضُّرْغام فى أرض الوحو ش تَجَبُّراً وَصَلَى الجميعَ هَوانا

(١) النسمات ما فيها روح .
(٢) المفازة الفلاة لا ماء فيها .
(٣) تسنم صعد الرابيه .
(٤) الوهد الارض المطمئنه .

فتجمَّعَتْ وتحدَّثَتْ ... وتفكَّرتْ وتدبَّرَتْ
الضَّبْعُ قال لَنَرْحَلَنَّ ... لِغُرْبَةٍ وبها نعيشْ
الدُّبُّ قال لنمْكُثَنَّ ... بموْطن وبه نموت
الفَهْدُ قال لنضْرِس ... بصرية ليست تَطيشْ
الذئب قال لنُعلِنَنَّ ... الحرب إنّ العمر قوتْ
من ذا يعيش ومن يموت ... عَوَتِ الوحوش وَمَنْ يُقِيتْ -

***

صاح ابنُ آوى فى الجموع وجدتُها ... فإذا رغبتم فكرةً أوضحتُها
صاحوا به قُلْ شارحا ... رَدَّ ابن آوى صائحا
ما بيننا والضَّيْغَمِ ... سيكون عَقْدٌ بالدَّمِ

والعقدُ أكرمُ ملزِمِ

فى الغار يَمْكُثُ لا يصيدُ ... ويصيد مِنَّا من يُجِيدُ
ولهُ علينا كلَّ يو ... م شِرْعَةٌ صيدٌ جديد
اليومَ يَنْعَمُ بالغزا ... ل إليه يَسْحَبُهُ شديد
وغَداً سَيَطْعَمُ أرنبا ... أوما يشاءُ له نَزيد
من دون جَهْدٍ نائما ... يَلْقى دَواماً ما يُريد

***

قال الجميعُ أَصَبْتَ قولا هُوَ ما تَرى لِنَنال عَدْلا
بِدَمٍ بُنودُ العقد تُكـ تَبُ فالحياةُ تُريدُ عَقْلا

وَمَضَوْا معا للضَيْغَمِ

ولديهِ كان الأمر سَهْلا مَنْ ذا يُطيق الآن مَهْلا

مِنْ بَعْدِ طول تَأَزُّم

العقدَ حَسَّنَ عَيْشَهَمْ والصيد بات أمامهم
همْ فى الوقائع وَحْدَهم والحَظُّ يَسَّرَ وعدهم
والخير يجرى بينهم وكأنه غَيْثٌ لَهُم

* * *

كلٌّ وراء الصيد كان يَشُدُّ فى كل يومٍ فى الغروب يَعُدُّ
كل يصيد وليس يَنْقُضُ عهدهُ كل يُجيد ولا يَمَلُّ يَكُدُّ
حالٌ جديد خَيْرُهُ عَمَّ الجميـ ع وكُلُّهم للعَهْدِ كان يَجِدُّ
عَيْشٌ عَتِيدٌ للوُحوش وإنَّهُ عِنْدَ الضِّعاف من الخلائِقِ ضِدُّ[1]

* * *

وجرى اختيارُهُمو لِما لِلَّيْثِ يُنْزَ سَلُ قُرْعَةً مَنْعاً لِشَرٍّ تنازعِ
عَرَفوا العدالة كيف تجرى فى المعيـ شة شِرْعَةً مِنْ غير جَهْدِ تَراقُعِ

(١) عتيد حاضر ومهيأ .

فيا يُصاد وما يُقاد فَلَسْتَ تَسْـ مَعُ صيحة مِنْ ضارب مُتَدافع ِ

***

واختار سَهْمُ الحَظِّ يوما أرنبا مُتَوقِّداً فى الذِّهْنِ يَفْضُلُ ثَعْلبا
لما رأى إمهالَهُ مُتَهَيِّبا عَرَفَ الحقيقه حين صاح مُؤَدِّبا
لِمَ كان إمهالى أَلَسْتُ مُعَذَّبا

قالوا ستلق اللَّيْثَ دون تأخرِ وإليه تُرْسَلُ طائعا بِتَبَخْتُرِ
ستراه يَرْقُبُ زائرا بِتَجَبُّرِ فاقبَلْ مَصيراً جاء دون تَخَيُّرِ

فأجاب بَعْدَ تأمُّلٍ وَتَفَكُّر

صبرا ولست معاتبا والصبر ينفع صاحبا
إنْ تسمعوا لى سوف أغـ لب رَغْمَ ضعف ناهبا
قالوا لَهُ ماذا ترى واحذَرْ تُخادعْ ماكرا
فأجاب فى أدبٍ ودون تأثُّرِ

لى حيلتى وَوَسيلتى لا تنظروا لكِيانى
وعدوُّكم شَرٌّ تَلَبَّـ دَ مُنْكِراً لِلَيانِ
فإذا قَدِرْتُ عليه ألْـ زِمكم بعهدِ أمانِ

***

إنى سأذهب طائعاً بِتَفَهُّمِ … وَحْشٌ سيمسك فى اقتيادى مِعْصَمى
ما أرتجِيهِ أن يكونَ السيرُ مَهْـ … لاً كَىْ يجوعَ الليثُ قبل تَقَدُّمى
سترون كيف أعودُ دون تَأَخُّرٍ … حَياً لأُخْبِرُكُمْ بحال الضَّيْغَمِ
قالوا ستسلمُ فى حياتك دائما … لو جئتنا بِنِهايةٍ للمُجْرِمِ

* * *

جُنِّبْتَ شَراً أرنبُ … وَنَجَوْتَ مِمَّا تَرْهَبُ
أسروك دون تَرَفُّقٍ … لَمْ يَشْتَمِلْكَ تَهَيُّب
حكموا عليك تكون حِصَّـ … ـةَ غاصِبٍ يَتَرَقَّب
فَصَبَرْتَ إنَّ الصبرَ فى … وقت الشدائد طَيِّبُ
وأردت تُنْقِذُهُمْ وأنـ … ـت أسيرُهُمْ تَتَعَذَّب
ثَبْتاً ذهبت مُخاطرا … والوحش خلفَكَ يَعْجَبْ
يمشى وراءك خائفا … من كَفِّ لَيْثٍ تَضْرِب
كَمْ كنت تضحك مازحاً … مَنْ كان مثلَكَ يَشْجَب[1]
لَمَّا هَمَسْتَ لحارسٍ … ياوحْشُ هَلاَّ نَهْرَب
فأثارهُ هَزْلٌ نطقـ … ـت به وصاح يُؤَنِّبُ
كيف اجترأتَ وسَاءَ ظَنُّـ … ـكَ كيف وحشٌ يَكْذِب
قد حَقَّ موتُكَ غيرَ أنِّـ … ـى لستُ أحمَقَ أغْضَبُ
والدونُ مثلُكَ فى العظا … م من المخاطر يلعب

وتبيَّنَتْ فى القُرْبِ غارُ الضَّيْغَم

قد ثار ذاك اللَّيْثُ من جوع كأنك مُذْنِبْ

* * *

وأتى زَئِيرُ الشَّدْقَمِ هَرَبَ الخَفيرُ كَكَعْسَمِ [١]
ويقولُ مالى والندا مَةِ واقْتِضام الأعْظُم
عاد الزئير مُدَوِّياً ما كان ذا بِتَرَنُّمِ
وَمَضى الأسير بلا ارْتِيا عِ صَوْبَ باب الضَّرْغَم
وكأن زِلْزالاً يُهَدِّ دُ مُنْذِرا بِتَهَدُّم
وكأنه يومُ الحِسا بِ أتى وصوت جهنم
وَعَلا الزَّئِيرُ بِثورة شَوْقاً لِلَحْمِ أو دَمِ
وَقَفَ الأسيرِ ببابِهِ مُتَرَقِّبا لتقدُّم
وأتى كَقَصْفِ الرَّعْدِ بعـ د البَرْقِ صوت الضَّيْغَم
إنِّى أرى التَّأخير زادَ هَلْ جاء مِنْهم ذا عِنادا

هَمَسَ الأسير الأرنبْ

مولاى كان تأخرى مِنْ طامع مُتَجَبِّر

كالرَّعْدِ قال الأغْلَب [٢]

(١) الشدقم الاسد . الكعسم الحمار الوحشى .
(٢) الأغلب الاسد .

أَقْـدِمْ سـآكُـلُـكَ الْـتِـهامـا أوقِـفْ سـآتيك اقْـتِـحامـا

رَدَّ الأسير الأرنب

مولاى صبراً لستُ إلاَّ حارسا أمَّا الأسير فكان جَنْبِى يائسا
هُـوَ أرنبٌ مِـثْـلى تماماً إنَّما مِنْ سِمْنَةٍ فى الجسم يمشى مائِسا[1]

زَأَرَ القَـوِىُّ الأغْـلَـبُ

مـــاذا جـــرى لــلــهائسِ أوْضِـحْ خَسِــئْـتَ كـبـائسِ

صاح الأسير الأرنب

لَـيْـثٌ وَمِـثْـلُـكَ قُـوَّةً وزئيرا سَدَّ الطَّريق وَقَدْ عَلِمْتُ أخيرا
مَسَكَ الغداء بِقُوَّةٍ مُتَجاسرا وأبى النصيحة بَلْ وزاد زئيرا

بَصَّـرْتُـهُ أفـهـمْـتُـهُ حَـذَّرْتُـهُ أنْـذَرْتُـهُ
بـل كِـدْتُ أشْتِمْـه فهاجمنى فَـكَّـرْتُ أقْتُلُـه فصارَعَنى
وأرَدْتُ أضربـه فـغـالـبنى ووَدَدْتُ أجْـذِبُـهُ فـنـازَلَنى
ألْقى الشَّتائِمَ فيك لم يتأدَّبْ أخَذَ الغَداء وَسَبَّ لم يَتَهَذَّبْ
ومضى يصـيح مُـهَـدِّدا وَمُـزَمْـجِـراً مُـتَـوعِّـدا
إذْهَب فـإنِّـى أوْلَـى مِـنْ مـالكٍ ومَـلِـيكِ
بـالجوع لَـيْـثُـكَ يَصْـلَى وأنـا بـدون شريك

***

(١) مائسا متبخترا .

أَسَدٌ وليس يُراعُ مِنْـ ـكَ وَقَدْ عَلِمْتَ فَمَنْ يُطاعُ

***

هَبَّتْ سعيرُ الآسِرِ بِتَحَقُّدٍوَتَكَبُّرِ
فكأن جِنًّا يَزْأَرُ وكأن رَعْدًا يَهْدِرُ
والأرنبُ الصنديدُ يَسْـ ـمَعُهُ وَثَبْتاً ينظُر

***

هَدَأَ الزَّئيرُ فكان قَوْلُ الضَّرْغَمِ للأرنب الصِّنْدِيدِ والمُتَبَسِّمِ
جَنْبِى تسيرُ إلى مكا نِ السَّارِقِ المُتَجاسِرِ
واسرعْ خُطاك بِمِشْيَةٍ لتكونَ قُرْبَ أظافِرى

***

مَشَيا وأرنَبُنا يُصا حِبُهُ بِقَلْبٍ ماكر
قَدْ كان يَعْلَمُ فى يَقيـ ـن أمْرَ جُبٍّ غادِرِ
الماءُ يَكْسُوهُ بِحُسْـ ـنٍ مِنْ صفاء ساحر
حتى يَكادُ يُماثِلُ الـ ـمِرْآةَ عند الناظر
مُتَلأْلِئٌ فى سَكْنَةٍ والجُبُّ ليس بظاهر
لَماَّ أتاهُ أشار يا مُرُ فى ابتهاج الظافر
أنْظُرْ لهذا الشَّدْقَمِ الـ مُتَكَبِّرِ المُتَجاسِرِ

نَظَرَ الغَضَنْفَرُ للمِيا ه بأمْرِ أَضْعَف آمِرِ
فرأى على وَجْهِ المياه الناعِسِ أسداً يُزَمْجِرُ فى جِوار المائسِ
فى لَمْحَةٍ أَلْقى المُغَفَّلُ نفسهُ فى الجُبِّ مات أمامَ عَيْنِ الفارس

وكما ترى وأرى كليلهْ

السيفُ أكذبُ من يقو ل إذا تحدَّثَتِ العقولُ
وإذا مَلَكْتَ الحقَّ لا ضَعْفٌ ولا خَطَرٌ يَحُول
والغابُ جمعاً سوف تنـ صُرُ مَنْ إلى حَقٍّ يَؤول
وَعَدُوُّنا الملعونُ ليـ س سِوى الى شَرٍّ يَصُول
والعقلُ يُنْكِرُ فِعْله عَبَثاً يُنَمِّقُ ما يقول

***

الفصل السابع

السمكات الثلاث

قال الأديب كليله

مُتَهَيِّباً مُتَحَيِّرا   مُتَرَدِّداً ومُفَكِّرا

ثَبْتاً أراك على قرارٍ لستَ عَنْـ   ـهُ براجعٍ مهما نصحتُ مُبَيِّنا

الثورُ حقا قد أضرَّ بنا وما   نرضى بمِثْلِ الثورِ يَرْقَى بيننا

فافعلْ كما قَدَّرْتَ إلاَّ ان يُصيـ   ـبَ السبعَ ضُرٌّ ليس هذا هَيِّنا

واحذَرْ تَجُرُّ الغابَ فى شَرَكِ الخِلا   فِ وَزِدْ دواما فى خُطاك تَيَقُّنا

***

يَوْماً فيوماً دمنةٌ   يزدادُ إصراراً وَمَكْرا

وَيُقَلِّبُ الأفكار فى   صَمْتٍ وكاد يَذُوب فِكْرا

يَجْتَرُّ أحلاماً تُضِلُّ   ومِثْلُهُ يجترُّ نُكْرا

وَمُفَكِّراً ومقدِّرا   متأمِّلاً ومصوِّرا

***

ومدبِّراً مُتَعَمِّدَ الإضْمارِ   مُسْتَمْسِكاً بالخَتْلِ والإضْرارِ

لِمَكيدةٍ فى سَطْوَةِ الأقْدارِ

ويـقولُ يـلـزُمنى أبـا عـدُ كَىْ أكونَ مُؤثِّـرا
فـالسـبـع سوف يَشُـدُّهُ شَوْقٌ لـيـعـرفَ مـا جـرى
مِـنْ بـعدها سأكونُ عِـنْـدَهْ آنى لـه ويكون وَحْـدَهْ
وأرى الـتـلـهُّـفَ منه أُشْـ بِـعُـهُ بـقـولٍ لَـنْ يَـرُدَّه

***

وأطال غَـيْـبَـتَـهُ لِـحِـيـ نٍ ثم عـاد مُشَـمِّـرا
ورأى المليكُ الخَبَّ هَبَّ مُسَلِّما ولقد بدا مِنْ لَهْفَةٍ مُتَألِّمًا[1]

قال المليك لدمنه

لِـمَ قـد بَـعُـدْتَ زمـانـا فَـلَـعَـلَّ خَـيْـراً كـان

قال المفكر دمنه

مولاى ظَنُّكَ خَيْرُ

قال المليك لدمنه

وقد احتواه الفِكْرُ

وإذَنْ فَأَمْرٌ قد جرى

قال المفكر دمنه

مُتَمَهِّلاً مُتَدَبِّرا

(١) الخب المخادع .

مَوْلاىَ حالى ما ترى

الأسد : هَلْ فى ضميرك سِرٌّ أَمْ جَدَّ أَمْرٌ نُكْر

دمنه : ما كنتَ يامولاى ترضاهْ والجُنْدُ يامولاى تأباهْ

الأسد : ماذا يكونْ

دمنه : فظيعْ

الأسد : قلبى إليك سميعْ

دمنه : شىءٌ يكدِّرُ سامعا والخوف حين يذيع

عبثاً أحاول وصفَهُ أو ذكره أو أنْ أقولهْ

أرْضَى بموتى إنْ جرى سببا يمحو ما جرى

لوكنتُ خَبّاً أو سَفِيـ ـهاً كنتُ أَقْدِرُ أنْ أقولَه

لكن قلبى آمِرى مهما تردَّدَ خاطرى

مِنْ أجل حُبِّك أنْ أُفَكِّـ ـرَ كيف أقدِرُ أنْ أقولَه

إنْ كنتَ غيرَ مُصَدِّق والأمرُ بَعْدُ مُؤرِّق

فالوُدُّ يأمرُنى بأن أسعى إليك لكى أقولَه

إنْ كان قلبُكَ سائلى عَنْهُ فخبرك شاغلى

ولذا أتيتُ لكى أحاول ما حذرْتُ وأنْ أقولَه

قال المليك لدمنه

بالأَمْـرِ دمـــنــةُ قُـلْــهُ صِـفْ مـا جـرى وانْـقُـلْـهُ

قال المفكر دمنه

إنِّـى سَـمِـعْـتُ مِـنَ الـخَـدِيـن الصــادقِ الـقـولِ الأمـيـنِ
عـن غـــادرٍ خَـوَّانِ الثور شَــرٌّ جـبـانِ

هُوَ خائِنٌ هو بائِنٌ هو شائِنٌ

شَـراً نُـكـراً غَـدراً ضُـراً مَـكْـراً فِـكراً ذِكراً خَـتْـرا[1]

***

يَلْقى الصِّحاب مُحَدِّثاً بِذَكائِهِ مُتَقَرِّباً مُتَـودِّداً بدهائِهِ
ويقول إنَّ السبع عاد لدائه ظَنَّـا يرى الأصحاب مِنْ أعدائه

***

السـبـع هَبَّ وثـارَ حِـمَـمـاً يجئُ أُوارا
فى الأرضِ دَبَّ دَبِـيـبـا هَـزَّ المكـان وَجـيـبـا
والموتُ جـاءَ ظَـهيرا عَـضْـفـاً يُـطِـلُّ زئيرا

هَدَأَ المليكُ وقال أَكْمِلْ

(١) الختر أقبح الغدر .

قال المفكر دمنه

مولاى إنَّ الشَرَّ يَقْتلْ

السبع مَنطِقُهُ المَكينُ   ألاَّ يكونَ لَهُ قَرينُ
لا يرتضى نِدًا لَهُ   والحِذْرُ صاحبُهُ الأمين
مَنْ ليس يُقْنِعُهُ رِضا   ؤُكَ مَوْتُهُ نِعْمَ الضَّمين
والثور شَرِيةٌ ذكا   ءُ مثلُ قُوتِهِ متين
لماً. تقرَّبَ منك نا   ل مِن المكانة ما يُعين
والعقل يأمر باخْتيا   لِ ليس يَجْهَلُهُ فَطين
فاحذَرْ تُهادِنُهُ وإلاَّ   فى غَدٍ شَرٌّ يَكون

والخير تمنعْ ما سيفعَلْ

هِمَمُ الرجالِ منازِلٌ   لا يَعْتَلِيها غافلْ
مَنْ يسبِقْ الأحْداثَ فِكْ   رًا واحتراساً سابقْ
مَنْ جَدَّ يُدْرِكْ ما أطا   ح به الترَدُّدْ لاحِقْ
مَنْ بات قَلْباً مِنْ شُعا   عٍ فى الوقائع غارِقُ

حَالْ الثلاثةِ هؤلا   ء كقصَّةِ السَّمَكات

قال المليكْ لدمنه

قُلْ كيف ذلك دمنه

قال المفكر دمنه

سَمَكاتُ قِصَّتِنا ثلا ثٌ في غديرٍ عَيْشُهُنَّ

يُدلِي لبَحرٍ كان يَحْـ وِي قبل حِين جَمْعَهُن

مِنْ تحت سطح الموج يجـ ري دون جَهْدٍ رزقُهن

تَتَموَّجُ الأمواج يـر قص مثل موجٍ جسمُهن

تتلألأ الأنوار يَسْـ بح في خيال فكرُهن

وَأَتَتْ ظِلال قاتما تٌ مُنذِراتٌ فوقهن

كانت لصياد وَصُحْـ بتِهِ أرادوا صيدَهُن

قالوا سنأتي في غدٍ فَطِنَتْ لقول خيرُهُن

صاحت حياتي في نجا تي لستُ أشْبِهُ بعضهن

مِنْ مَنفَذٍ للبحر فَرَّ تْ حيث يحيا غيرُهن

صارت به في مَأمَنٍ مِمَّا يُهَدِّدُ جِنسَهُن

***

تَأتي لثانيةٍ تَظُنُّ الأمر ليس يَخُصُّهُن

قالت إذا عادت ظِلا ل سوف أفهم سِرَّهُن

لما أتى الصيادُ سَدَّ منافذا عُرِفَتْ لهن

أختُ التردُّدِ حين جَدَّ الجِدُّ صَيْدا هَزَّهن

طافت فأبصَرَت المَنا فِذَ مُغلَقات دونهن

أخَذَتْ تُفكر كيف تنـ جو مِنْ شِباك حَوْلَهن

قالت سأدرِكُ حِيلَةً ما كنتُ أيأسُ مِثْلَهن

زحَفَتْ بِبَطْنٍ فوق سطـ ح الماء تُشْبِهُ مَيْتَهن

فتناول الصياد هـ ذي قال هذي شَرُّهن

ألقى بها فى الشَّطِّ هَبَّـ ـتْ فاليُبُوسَةُ هُلْكَهن
قَفزًا أَتَتْ للبحر إنَّ البحر يَحْفَظُ عُمْرَهن

* * *

وإلَيْك ثالثةً تَبا دَتْ فى التَّهاوُنِ بَيْنَهن
تَجْرى لمَيْمَنَةٍ ومَيْـ ـسَرَةٍ وتَشْكو حَظَّهن

جاءت شِباك الصَّيْدِ صا رت فى الحِبالَةِ أخْتُهن[1]

وكما رأينا أمرَهُن

الشَّرُّ تَسْبِقُهُ بِعَزْ م لا ترى يوما ندامهْ

قال المليك لدمنه

هذا سليمٌ غير أن الثور فى ظَنِّى وَفِىْ
فى منزِل يَسْمو مكا نا لم يَجِئْهُ سِوى العَلِى
وأراه يأبى ضُرَّ مَنْ أعطى له العيشَ الهَنِى
عجبا يجىء الشرُّ مِمَّـ ـنْ فى الحياة لنا أُخَىْ
يَلْقَى لدىَّ الخَيْرَ فى أَمْنٍ يَقَرُّ به الأبِىْ
وَأَتَتْ له الآمال حَشْـ ـداً طائعاتٍ مِنْ يَدَىْ

قال المفكر دمنه

(١) الحبالة شرك الصيد.

إنَّ اللَّئيم خِداعُهُ كالسُّمِّ للقلب النَّقِىْ
مهما يَنَلْ مِنْ منزلٍ فالطبعُ يغلِبُ بالدَّنِىْ
قد كان يُؤْتى النُّصْحَ مِنْ فَرقٍ ليبدُوَ كالرَّضِىْ
وهى الخيانَةُ والفُجُورُ إذا علا هذا الشقِىْ
لا الشورُ شترِبةٌ أُخَىٌّ أورَضِىٌّ بَلْ أَذِىْ
هو مثلُ ذَيْلِ الكلب يأبى أَنْ يُقَوَّم فيهِ لَىْ

واسمعْ لقولٍ غيرِ طَىْ

إنَّ النصيحةَ مُرُّها مثلُ الدَّواء وما كَوى
فأنظرْ لقولٍ مثلِ نورٍ قد أضاء وما غَوى

والنورُ يتبعُهُ هَدِىْ

والحُبُّ يأمُرُ أَنْ أجيئَكَ ناصحا أوشارحا
خيرا وشرا حين أعْرِضُ مادِحاً أوقادِحا

والرأى يطلُبُهُ دَهِىْ

والصدق يدفَعُ فى النصيحة صاحباً متأدبا
ألاَّ يُقَصِّرَ أويجيئكَ صامِتا مُتَهَيِّبا

والنُّصحُ يقبله ذَكِىْ
وكما أتى القول المُبِينُ

الخير في الأعمال مـــا يُـعْـطيك عاقِـبَـةً تُـعِـينُ
والـــخير في الأقوال مــا ألـقــاه في سَــمْـعٍ أمين
والخير في الأخلاق مـــا يــرضــاه في دنـيـاك دِين
ولـدى الملوكِ الـجِـدُّ كُـلُّ الـجِـدِّ لا الـهَـزْلُ المَـهِين

ولذا جرى النُّصْحُ الحَسِينُ

هيهــاتَ نومُكَ إنْ قَضَـيْـتَ الـلـيل ترقُبُكَ الأفاعى
أوأنْ تـرى نـاراً تُـحِـيـطُ ولا تُـبـاعِـدُ في اندفاع
فـاحـذَرْ حَـقُـوداً شَـرُّهُ سُـمٌّ ونـار في اجتماع

وَيَهُزنا المَثَل الرَّصِين

يـامَـنْ أمِـنْـتَ بـغـاركـا وتَـظُـنُّ خُـلْـداً ذَلِـكـا
تجرى الحوادث كـالــزِّلا زِلِ قـد تَـهُـزُّ أرائِـكـا
ولئن ركَـنْـتَ إلى الـهُـوَيْـنى لَـنْ تَـقَـرَّ بِـداركـا
وإلـيك أنت الـلَّـوْمُ يـذ هب لن يـكونَ لجاركـا

* * *

الفيل يَقْضى في قُيودٍ يومه يـلْـقى على جار قريب لومَهُ
ومـثـالُـهُ في الـعَـجْـزِ يـأ تى لو نـظـرت لحالـكـا

قال المليك لدمنه

أَبْـدَيْتَ أقصى مـا يُـقـالْ والـنُّصحُ أَثْـقَـلُ مـا يَـنـالُ

لكنْ يُحَيِّرُنى سُؤالْ

لوكـان شتريــةٌ عَــدُو ا مـا لشتريـةٍ فِــعـالْ
حَقَّ الــفِــرارِ لآكِــلٍ لـلـعُشْبِ إنْ بـدأ الـنِّزالْ
إنْ شِـئْـتُ آكُـلُـهُ فَـعَـلْـ تُ وكيف يُنْجيه ابتهال
أين الـمَـخـافَـةُ لى وثو رٌ لى طَـعـام لا اقْـتِـتـال
مـاذا يُـفـيـدُ بـأن يخو نَ وكُـلُّ مـا يَـلْـق نوال
أثْنى عـلـيـه وقـد مَـنَـحْـ تُ لـه مَـقـامـا لا يُـطـال
وكــأنــه مِــنِّـى ولى فـإذا ضربت لها يـقـال
سـتـكـون حـربـا ضـد مَـنْ هـل ضِـدَّ نـفسى ذا سؤال

***

قال المفكر دمنه

مولاىَ غَـيـرُك مـا تـردُّ دُ لى طَـعـام ذا خـيـالُ
فـالـثورُ شتريــةُ أريـ ب لـيس يـنـقُـصُـهُ احتيال
فى خِـفْـيَـةٍ سَـيُـقيم جَـيْـ شـاً حين يحْـتَـدِمُ الـنِّـضـال
واذكـرْ حـديـثـا مـنـه سِـحْـ رًا لـيس يـغـلِـبُـهُ جِـدال

هَلاَّ علِمْتَ بما يُقالُ

مَـنْ جـاور الحدَّادَ يَـبْـ ـغى الظِّلَّ ذَاقَ الصَّهْدَ ظِلاَّ
مِـثْـلَ الىّ بَـطَـرت بما اغْـ تـادت فـجـاءَ الـرَدُّ قَـتْـلا

***

الفصـــل الثامـــن

الـظـــل

قال المليك لدمنه

قل كيف ذلك دمنه

قال المفكر دمنه

يجرى المثـــالُ مُـــنَـــفِّـــرًا … مِـنْ قَـمْـلَـةٍ لم تَـدْرِ حِـذْرا

كـانت تـعيش لـدى غـنِـىٍّ … فى نَـعِـيـمٍ كـان بَـحْـرا

بين الـطَّـنـافِـس والأسِـرَّ … ةِ قـد أتاها العيشُ يُسْرا

لم تَشْكُ إلاَّ وِخْـــذَةً … لـــكنهـــا لم تَشْكُ ضُـــرا

حتى أتـــاهـــا قـــافـــزًا … مَنْ كان يشكو العيشَ عُسْرا

فَـرِحَتْ بِـمَـقْـدَمِـهِ وظـنَّـ … ـت أَنَّ فى الـبُـرْغـوثِ خيرا

ورأى الأرائِكَ والـــنَّمَا … رِقَ قـال إِنِّـى جئتُ قَـفْـرا

أمضى لـــديها لـــيـــلـــةً … وكـــأنـــهُ قـــد عـــاش دَهْـــرا

ودعـا الـغـبـيَّـةَ أن يُـريـ … ـهـا دارَهُ لم تَـغْـصِ أَمْـرا

ومـضتْ مُـلَـبِّـيَـةً لـدَعْـ … وَتـه تَـخـالُ الأمـرَ بـرا

وبجسم صـاحِـبِـهِ الـفَـقـيـ … ـرِ تَـمَـاديا فى اللَّدْغِ جَـهْـرا

شـعَـرَ الـفـقير بما يـدو … ر ولم يُطِقْ فى الحال صَبْرا

ومضى يــفــتِّشُ لاهـشـاً … بَـلْ جاهِـشاً[1] يجتَرُّ ذُعْـرا

حتى أحـــاط بها وصـــا … حَـبْـهـا الشَّـقِـىُّ يَـفِـرُّ حُـرّاً

هـــذا المثـــالُ كما تـــرى … قـد جـاء يـكشِفُ ما جرى

(١) جهش استخفه الفزع أو الغضب .

إحْــذَرْ مُصــاحبــةَ اللّـئيــم فــإنــهُ كــالـمَــوْتِ ضُــرا
وظلالُ مَــنْ تَــرضــاهُ جــا را مــشـلُــهُ خَــيْــرًا وشَــرًّا
وإذا ســهــوْتَ لما حــذِرْ تَ فكم أضاع السَّهْوُ عُمْرا

***

مولاى خــفْ من شتربــــه هُــوَ فى الخصــال كــعَــقْــرَبَــهْ
مَــنْ فى أمــانِ قَــرَّبَــهْ ســيــنــال أوْخَــمَ عــاقِــبَــهْ
كَمْ طاف بَيْنَ الجُنْدِ يَهْذِرْ ويــقــول أنك عشت تَــغْــدِرْ
وأخــافُ مِــنْ طُــولِ الأَنــا ة يَنالُ مِنْكَ وأَنْتَ تَنْظُرْ
إنْ صَــحَّ قــولُــكَ فيه ضعــفٌ كَــيــف تــفــخَــرُ يومَ تَعْثُر
واحــذَرْ جــنــودَكَ إنَّ فــيــهِــمْ حــاقِــدا لــلشَّــرِّ يُــضْــمِر
من قــولِ شتربــــةٍ تجرَّأَ صــارَ يــأمــلُ يومَ يَــعْــقِــر

***

سَمِعَ المليكُ كلامَ دمنةَ مصغيا وتحرَّقَتْ عيناه غَيْظًا مُضْنِيًا
وكــأنَّــهُ المأخُــوذُ سِــحْــرًا راحَ يَــهْــتــفُ عــالــيــا
الــرأىُ أنَّكَ لى نَــصِــيــرُ مــاذا رأيْتَ ومــا تُشِــيــرُ

قال المفكر دمنه

إنَّ الــقــريب إذا حَــقِــدْ كالضِّرْسِ يُؤْلِمُ إنْ نَقِدْ[1]

(١) نقد تكسر

حتى يتمَّ الخَلْعُ

والشَّوْكُ يبقى موجعاً ما دام يسكن إِصْبَعا

وله يكون النَّزْعُ

الضُرُّ بالإعداد تصرعُهُ وإذا سهوْت فمن سيَرْدَعهُ
الغَدْرُ بالتدبير تمنعُه بالحزم والتفكير تصدعُهُ
الشر كيف يكون تدفعُه بالضرب والتمزيق تنزعُهُ

***

قال المليك لدمنه

الحق أنّى صِرْتُ مِمَّـ ـا قد تَبَدَّى غاضبا
أخطاء شتربةٍ تُكَدِّ رُ دون رَيْبٍ صاحبا
ما عدْتُ فى وَصْلِ الصدا قة بعد غدْرٍ راغبا
حتى أحَقِّقَ لن أكو نَ إلى الإدانَةِ ذاهبا
وغداً أُقابِلُهُ وأذ كُرُ ما ترامى عاتبا
وأرى حقيقةَ مايكو نُ ولا إخالُكَ كاذبا
سيكون حكمى أنْ يُبَا عِدَ عن ربوعٍ تائبا
يكفى جزاءً أنْ يَعِيـ ـش مع الندامة خائبا

***

إهْتَزَّدمنةُ خَوْفا ورأى بقُرْب حَتْفا
وبكل حَزْمٍ صارم أخفى عنِ السبع ارتياعا

وبكل لين قال لا فالخير أن تجد اقتناعا

الثور شتربة سيُنكر ما يُدان به سراعا

ويكون أمرٌ لا يُحقَّقُ بعد ما أمسى مُذاعا

وأراه مِنْ زمنٍ أعدَّ لدى مفاجأةٍ دفاعا

فأنظرْ برأيك فِكْرا يعلو عدوَّكَ مَكْرا

ليدوم سعدُك عُمْرا

قال المليك لدمنه

أكْمِلْ حديثك شُكْرا

قال المفكر دمنه

لو جاء شتربةٌ ودا فع كاذبا بِبنودِ

سيحِلُّ يامولاى عارُ

وإذا تخيَّر أنْ يُبعِدَ غاضبا كأسُودِ

هذا الفِرار شَنارُ

وإذا تقدَّمَ كَيْ يُقاتِلَ حاشِداً لجنودِ

فهنا يكونُ خَسارُ

إنَّ الملوكَ لها عِمادُ ... في العدل يحكمها رَشادْ
تأبى الترَدُّدَ في العقا ... ب وليس يُمْسِكُها عِناد
من جاء يُنْكِرُ ما جنا ... ه فلا يُدان ولا يُقاد
ولكلِّ آنٍ شِرْعَةٌ ... ولكل حالٍ ما يُراد
وتنوُّعُ الأحكام يلـ ... زم حَسْبما يقضى السَّداد
للجَهْرِ حكمٌ عند إقْـ ... رارٍ مُبينٍ لا يُزاد
للسِّرِّ حكمٌ إنْ نَمَتْ ... في السر أخطار شِداد

قال المليك لدمنه

لا لا أطيقُ السِّرَّ إلاَّ ... في قتال غائلا
ولئن أُقِمت السر حكـ ... ـما كيف عدلٌ يُجْتَلى
سيدِبُّ فيه الظلم سَعْـ ... ـيا بين جندى ماحِلا
وأراه يَمْحو العدل مَحْـ ... ـوا في يقيني شاملا

قال المفكر دمنه

السَّيفُ أصدقُ من يقو ... ل فحدُّهُ الحَدُّ الدليلُ
واحذَرْ تُطيلُ مِن الترَدُّ ... دِ كيف في خَطَرٍ تَميل
واسرِعْ لها في الغَيْبِ إلاَّ ... طامِعًا سِرًّا يصول
وإذا أتاك فلا يغُرُّ ... كَ ما سيفعلُ أويقولُ
ولذا فحَسْبُكَ أنْ يجي ... ء ترى بعينك ما طَوَى

إنْ جاء كالمَلْسوع يَحْـ ـجُلُ ليس خَيْرًا ما نوى
أ رَيْت وَجْهاً مُكْفَهِر أً كانَ غدْراً مازَوى[1]
هَذِى معالِمُهُ إذا ما الشرُّ فاض وقد حواهُ
فانظُرْ لأرجُلِهِ مَلِيـ ـاً سوف تكشفهُ خُطاه
لو هَزَّ رأساً فانتبِهْ قرناه في رأسٍ عَلاهِ
أوساءَ لَوْناً في اغبِرا رٍ ذاك ما نَضَحَتْ دِماه
أما الجزاءُ فقتلُهُ لينالَ ما زرعت يداهِ
واقطعْ بنابك جِيدَهُ فالثور تسنِدُهُ قُواهِ

قال المليك لدمنه

الحقّ قولُكَ في صِفا ت للعَدُوِّ ولا سِواه
إنِّى سألقاه بعَيْـ ـن سوف تَهْتِكُ ما طَوى
كالبرق أَضْرِبُ إنْ تبدَّ ى منه لَحْظٌ أونوى

***

بَيْنَ الظُّنون تغيَّر الأسدُ لم يُنْجِهِ مِنْ خِدْعَةٍ رَشَدُ

***

قد كان دمنةُ دائما في حيطَةِ الأَشْرارِ
ما عاد يرقُدُ نائما مِنْ رَهْبَةِ الأقدار
أمضى يفكر كيف يَحْـ ـذَرُ بَغْتَةَ الأخطار

***

(١) ريت رأيت . زوى جمع .

ويــقـولِ وَيْلى لوسَـكَـنْـتُ وطـال مُـكْثى هـا هُـنـا
لابُـدَّ مِنْ إيـقـاع شـتـربـةٍ لأصـبحَ آمـنـا
خَـطَـرٌ سَـيَـدْهَـمُ لوذهبـتُ بـدون عِـلْـمِ مـلـيكنا
والخيـرُ لوكـان المليـك بما سـأفـعـل آذِنـا
للسبع عاد لفوْرِهِ مُتَبَخْتِرا ومضى يقول مُخاتِلا ومُصَوِّرا

***

مولاىَ إيـذِنْ لى أقـابِـلَـهُ لأعـرِفَ مـا حَـوى
وَلـكَنِّى أصابِـعَـهُ فـاكْـشِفُ مَـأُرِبـاً غَـدْرًا نوى
وأرى هـواه وكـيـف صـار وَكـيـف تَـخْـدعـه قـوى
ولسَوْفَ أعرفُ مَنْ مِن الـجُـنْـدِ إلـيـه قد ضَـوى[1]
ولسوفَ أروى مـا يـكـون بـه تَشَـدَّقَ أوروى
وبـذا سـتـدركُ فى يـقـيـنِ مـا يـريـد ومـا زوى

***

أَذِنَ المليكُ لـدمـنـةٍ مِـنْ بـعـد ظَـنٍّ قـد طواه
وانساب دمـنـةُ كى يـتـمَّ عـنـد شـتـربـةٍ هـواه

***

وأمـام شتربـةٍ تـظـاهَـرَ بـالـتَّـألُّـمِ والـنَّـحيبِ
وبوجـهـهِ مُـتَـعَـفِّـرًا يـبكى ويحجُـلُ كاللَّسيب[2]
ورآه شتّربـةُ فـقـام لـكـى يـرحِّـبَ بـالحبيب

(١) ضوى مال .
(٢) اللسيب من لسعته عقرب أو افعى .

قال المبجل شتربه

أهْلاً وحَيَّتْكَ السلامهْ أهلا ولا ذُقْتَ الندامهْ
ماذا جرى لأراك فى حالٍ كَمَنْ يَلْق حِمامه

قال المفكر دمنه

هَذى السَّلامةُ لا تنالُ بل لا تكون ولا تُطالُ
إلاَّ لِمَنْ وَجدَ الأمان فليس يُبْعَدُ أو يُزال
أمَّا الذى فَقَدَ الأمان فسوف يُعْوِزُهُ النِّضال

قال المبجل شتربه

لا شيء يبكيه الفؤاد إذا تجَلَّدَ صابرا
أحداث هذا الكون تُعْطينا سرابا عابرا

قال المفكر دمنه

حدَثَ الذى فى نُكْرِهِ يُزْرى فى عُمْرِنا بالصَّبْرِ والفكرِ
وأحاقَ ما فى قَسْوةٍ يُغْرى بالحِقْدِ ضِدَّ الظُّلْمِ والغَدْرِ
مَنْ ذا الذى فى يومِهِ يَدْرى للخير يَمْضى أمْ إلى شَرٍّ
أُنْظُرْ لَحَوْلِكَ أيُّها الثورُ قد خانك المَخْبوءُ والدَّهْرُ
مَنْ ذا الذى فى نِعْمَةٍ يَحْيا تأتى له آماله سَعْيا
دُنْياهُ كالجَنَّاتُ تُسْعِدُهُ وتكاثُرُ الأعْوان يَسْنِدُهُ

وتدومُ نِعْمَتُهُ فلم يَبْطَرْ

***

مَنْ ذا الذى فى رُتْبَةٍ تَعْلو   يأتيه منها العِزُّ والذَّلُّ
لَمْ يَشْكُ حِرْمانا ولا عُدُما   ويعيش دَوْما صاعدا قُدُما[١]
ويفوق جَمْعَ الخَلْقِ لم يَمْذر[٢]

***

مَنْ ذا الذى لرذائِلٍ يرْنو   وبكل وَغْدٍ ساقط يَحْنو
فى اللهو يقضى العمر مُنْكَفِئا   وفؤادُهُ قد بات مُنْطفئا

وبلا رقيبٍ ثم لَمْ يَخْسَرْ

***

مَنْ ذا الذى ماكَلَّ فى الأَمَلِ   ليعيشَ فى بُعْدٍ عن الزَّلَلِ
مُتَطَلِّعاً للفَوْزِ بخَدينٍ   ينأى به عن رِبْقَةِ الهُونِ

ويعيشُ يأملُ ثُمَّ لَمْ يَكْدَرْ

***

مَنْ ذا الذى فى غَفْلَةٍ يمشى   أصحابُهُ فى خِسَّةِ القَمْشِ[٣]
وصِفاتُهم وفِعالُهم بَشِعتْ   بالشر والآثام قد طُبِعَتْ

ويخالُ خيرا ثم لم يَعْثَرْ

***

(١) عدما فقرا .
(٢) يمذر يفسد .
(٣) القمش ما على وجه الارض من الفتات .

هيهــــاتَ أين أمــــانْ لو أنَّـــــــــــهُ خَوَّانْ

***

قال المبجل شتربه

هـــذا الـــكلام أراه يَـــقْـــ طُـــرُ ريـــبَـــةً بمليــكـــنا
واحـــذَرْ فــهـــذى غـــيـــبَـــةٌ لا تُـــــرْتَضى بحديـــثـــنـــا

قال المفكر دمنه

مـــا كـــان قَـــوْلى ذا بـــرِجْسٍ أفـــديك شتربـــةٌ بـــنـــفسى
فى بَـــيْـــتِ أصدقِ صـــاحبٍ لى قـــد سهرتُ الليلَ أمْسِ
وسَـــمِـــعْـــتُ هَـــمْـــسا إذ علمـــتُ بـــهِ فَـــزِعْـتُ لِشَرِّ هَـمْسِ
قَـــسَـــمـــاً جـــرى هـــذا يـــقـــيـــنا لم يَكُـنْ سَمْعى بحَدْسِ[1]

قال المبجل شتربه

مـــــاذا سمعتَ يَـــــخُصُّنى ولَـــــهُ أتـــيتَ تَـــــهُـــزُّنى

قال المفكر دمنه

الـــــذنب ذنبى مِـــنْ قَـــديـــم يوم قُـــدْتُك مُـــقْـــنِعا
لـــيتى عصَـــيْتُ السبع لَـــمْ آمـــرْكَ تـــأتى خـــاضـــعـــا
والـــعَـــهْـــدُ كـــان معى ولا أَجِـــدُ السَّـــبـــيـــلَ لأرجِـــعـــا

(١) الحدس الظن والتخمين .

لا عَهْدَ باقٍ شتّريهْ

مَنْ ذا يُحِسُّ أمانا والعُمْرُ ليس مُصانا
ويزيدُ خَطْبٌ أن تكو نَ مُعاديا سُلْطانا
وروى الحِكايةَ صادق صَحِبَ المليكَ زمانا
فلقد بدا مُتفجّرا ضَحِكا لما رأى بغدائه سَمَكا
والجُنْدُ تسمعُ ما يقول وكا نَ الجَمْعُ مِماً قال مُرْتَبِكا

***

بدأ الطّعامَ مُقَهْقِها في غِبطَةٍ ويقولُ
الشوزَ أعظم قَدْرا وأراهُ جاوز عُمْرا
وكأنّهُ إذْ قال ذ لك وهْوَ يَضْحك غُولُ

***

كالطَّوْدِ يَشْمُخُ لَحْما كالغَيْثِ يَقْطُرُ شَحْما
وأعاد هذا القول في وَصْفٍ لِمَنْ سيغُولُ

***

زَنْدًا بسَيُوكَلُ خَضْما وأسا يُمَزِّقُ قَضْما[1]
وكما ترى مِنْ قَوْلِهِ نَهَمُ الضِّباعِ يَطُولُ

(١) الخضم الاكل بجميع الاسنان .

وغَـدًا سيُسْـمَـطُ سَـلْـخـا وأراهُ يجهَــلُ فَــخًّــا
هَــذِي صـداقَـتُـهُ إلـيـ ـك خِـيـانَـةً سـتؤُولُ

***

يـأتي الولـيـمَـةَ هُـزْءا كُـلٌّ سيأخُـذُ جُـزءا
ومضى يُـقَـهْـقِـهُ عـاليـا كـالـجِـنِّ مَـنْ سيـحولُ
وغـدا تَصير ولـيـمَـةً وإلى الـفَـنـاء تـزول
أنَّـى لمثـلك أَنْ يَصُـدَّ الـلَّـيْـثَ حين يصولُ

***

الفصل التاسع

البطة والكوكب

قال المبجل شتربه

هذا الكلام إذا تردَّ	دَ من سواك صدَدْتُهُ
لكنه إذْ جاء مِمَّـ	ـن قد أمِنتُ قَبِلْتُه
وَمَضى يَنُوح جِهارا	والقلب يَقْطُرُ نارا

***

ها قد تَكَشَّف مَوْعِدى	لَيْتِى عَدِمْتُك مَوْلِدى
ياليت أَمْسِى سَرْمَدى	حتى أُباعدَ عن غدى

***

لكنَّها أقْدارُ	هيهاتَ مَنْ يَختارُ

يَجْرى بها فُلْكُ الزَّمَا	ن يقودُهُ إضْرار

***

إنِّى صَحِبتُ السبع دو	ن تَحَرُّزٍ بل والقَا
للخير أنصحه أميـ	ـناً فى النصيحة صادقا

***

وأراكِ صَفْحَةَ عُمْرى وقد امتلأتِ بِنُكْرِ
غَرَبَتْ شُموسُكِ ثُمَّ أَرْ سَلَتِ الظَّلام لِدَهْرى

* * *

حتى الجنودُ صَحِبْتُهُمْ رِفْقاً وكنتُ أَوَدُّهم
وَغَدًا سَيَنْهَشُ نابُهُم كَبِدى كأنِّى ضِدُّهم

* * *

ياقلبُ غَرَّتْكَ المُنَى فَظَنَنْتَ قَبْرَكَ مَأْمَنا
حانَ الصَّباحُ ولا أرى فى الكون أُفْقاً بَيِّنا

* * *

ما خُنْتُ يوما عهدا أوقلت حَرْفاً ضِدًّا
وَرَغِبْتُ دَوْماً أَنْ أكو ن مُحَقِّقاً للسبع سَعْدا

* * *

ظَنِّى هِىَ الأَحْقادُ يَجْتَرهُّا الأضْدادُ
وإذا عَلَوْتَ عن الصِّحا بِ فكلُّهُمْ حُسَّاد

* * *

إِنِّى أَمِنْتَ إلى الصديق السبع لم أحذَرْ لما كان التَّهاوُنُ صائبا
ولقد رَكَنتُ لعَهْدِهِ ولِوُدِّهِ مَهْما أَلِمْتُ فكيف أُنكرُ صاحبا
هُوَ حاسد أَلْقَى الوقَيعَةَ بيننا بالقول يَسْقيه المَوَدَّةَ كاذبا
هى صُحْبَةُ الأَشْرار تُوقِعُ صاحبا فإذا بِنُورِ العقل يَغْرُبُ ذاهبا
مِنْ حَوْلِهِ دارت جُمُوع الطَّامعيـ ـن وكلُّهم بالغدْرِ يسعى دائبا

* * *

خَطَأً فَظيع قد أطاح بحِلْمِهِ وبقلبه وبعقله وبعلمهِ
وأراه يَمضى فى الحياة كبَطَّةٍ فى النهر كانت فى نعيم تَمْرحُ
ليلاً رأت صُوَرَ النجومِ كرُقْطَةٍ تَهْتَزُّ بالأمواج كادت تَصْدَح[1]
كانت تخال الأَمْرَ أسماكا ودَّ تْ نُقْطَةً مِماً يبينُ ويُفْرِح
ولَأَهَّبَتْ لتصيدَها وتقدمَتْ فَمَحتها
وتمهَّلَتْ لتعيدَها واستطْرَدَتْ فَقَدَتْها
أخَذت تُفَكر والنجومُ حِيالَها فرأت نجومَ اللَّيلِ تجهَلُ حالها
لَمْ تَدْرِ سِرَّ الكوكبِ فى الماء بعدَ المَغْرِبِ

***

عاشت ترى الأسماك ترقص عندها مِثْلَ النجوم فلا تحاولُ صيدَها

***

هذا المثالُ إذا نظرْ تَ تراه يَحْكى ما جرى
فالسبعُ قد عَهِدَ الخيا نةَ مِنْ سِواى كما ترى

***

لوكان ينفعُنى دفاعٌ كيف أمْـ نَعُ ماجرى فى القلب حُكْماً مُضْمَرا
لا الدمعُ يدفَعُ خافيا فى قلبه أوما أقول له يَعُوقُ مُدَبَّرا

***

(١) رقطة سواد يشمله نقط بيضاء.

سبحانك ما صوَّرَ الغَيْرُ   فأنا لديه الشَّرُ والضُّرُ
من ذا يقول بأنى الخيرُ   وَرِفاقه كُلٌّ هُوَ النُّكْرُ

***

ذا كامِدٌ ذا حاقِدٌ ذا واجِدٌ [١]

كَمْدًا حِقْدا قصدا عمدًا   عِنْدا جَحْدا كَيْدا إدًّا [٢]

***

(١) واجد غاضب
(٢) الإد الامر المظيع

الفصل العاشر

لعبة القدر

ومضى يَنُوح يقول ما العملُ   عَزَّ التَّمَنِّى وانْمَحَى الأَمَلُ
لو أَنَّ فى الميزان ضِدِّى زَلَّةٌ   لنَفَيْتُها أويُغفَرُ الزَّلَلُ
والوَيْلُ حين أُدانُ دون جَريرَةٍ   كيف السبيلُ لينفَع الجَدَلُ

ولمِثْلِ هذا قد جرى المَثَلُ

مَنْ جاء بيتك قاصِدًا طلبا   مُتَوَدِّدًا متلَطِّفاً أَدَبا
لو نال منك ملامَةً ستكو   نُ بما فَعَلْتَ مُجاوِزًا سَبَبا
أو زِدْتَهُ أَلَماً وَسُخْرِيَةً   ستكونُ أعجبَ مَنْ أتى عَجَبا

ولقد نظرتُ فهالَنى الوَئِلُ[1]

لا ذنبَ يُنْسَبُ لى فَأَنْ   فيه وَأَذْرَأُ شَرَّهُ
أو جُرْمَ يُلْصَقُ بى على   خَطَأٍ فأكشفُ سِرَّه
وَلَئِن بدا قَصْدًا فعدْ   لٌ أَنْ أُحَمَّلَ وِزْرَه
أما الذى يسهو فإن   العَفْوَ يقبلُ عُذْرَه

* * *

(١) الوئل الويل مبالغه .

فلئن لُمِزْتُ بقيلةٍ مِنْ حاسدٍ   أو أنْ أُعابَ بِزَلَّةٍ من حاقدِ
ولئن رُمِيتُ بِهَفْوَةٍ من كامِدٍ   أو أنْ يُظَنَّ السُّوءُ عَبْرَ مقاصدى
عُذرای لم أتعَمَّدْ   خطأً ولم أتحَقَّدْ
والجُرْمُ يُوزن قَدْرا   والعدْلُ يقبل عُذْرا

ولئن ظُلِمْتُ لخانني الأَمَلُ

إنِّى لَزِمْتُ النُّصْحَ قَوْلاً آزِرا   مِنْ أَجْلِهِ ونسيت نفسى صابرا
بالرِّفْقِ أَعْطيتُ النصيحة مُخْلِصا   ولخيرِهِ كم بِتُّ لَيْلِى ساهرا
ما كنتُ أصطَحِبُ الجنود مُشَهِّرا   أو كنتُ أَفْتَعِلُ المَلامَةَ جاهرا
والدِّينُ والنُّصْحُ الرَّشيدُ وما أرى   حَقاً أقول وكان عِنْدى آمرا
وَتَبِعْتُ فى بَذْلِ النصيحَةِ ما يقول القائلْ
يأتى المَآلُ من الفِعال وكُلُّ شَىْءٍ مائل
الحَقُّ يَشْمَلُ ما جرى   حَقاً بِفَيْضٍ مِنْ ضِياء
وَلِمَنْ أساء فِعالُهُ   كالظِّلِّ تَنْذِرُ بالشَّقاء

***

لو كان حالى عندَهُ   أَمْرًا يُبَرِّرُ حِقْدَهُ

هَيْهاتَ صَفْوُ زمانى

أوشـــاء موتى قـــاصـــدًا وأَبَـى الـتَّـراجُـعَ عـامـدا

هِىَ سَكْرَةُ السُّلْطانِ

ومـــثـــالُـــهـــا الأيـــامُ تَصْـ ـحَبُ فى الـتَّـمَـنِّى صاحبـا
وَيـــخـــالُـــهـــا خُلاًّ وَيُـــخْـ ـلِصُ فى الـــتَّـوَدُّدِ دائـــبـــا
فـــإذا أبـــانَتْ وجـــهـــهـــا جَـــزِعـــا يَـــبِـــيتُ مـــعـــاتـــبـــا
وَبِلا السَّلامَـــةِ سوف يَـــرْ حَـــلُ بـــعـــد حِـــينٍ ذاهـــبـــا

***

وَبِـقَـدْرِ خَـيْـرٍ كـان يُـسْـعِـدُهُ يَـلْـقِ الـنـدامة يوم يَـفْـقِـدُهُ
وكـأن هـذا الـكـونَ يَـحْـسِـدُهُ حتى نجومُ الـلَّـيْـلِ تَـرْصُـده

***

الخَـلْـقُ جَـمْـعاً لُعبَـةُ القَـدَرِ والكونُ مُـنْـذُ البَدْءِ يَلْعَبُـها
فى مُنْتَهى التَّخْويفِ والخَطِرِ والموتُ كُـلُّ الموتِ مَـكْسَـبُـها
أُنْظُرْ تَجِدْ فى اللُّعْبَةِ الأَفْعَى حـاوٍ يَـطُـوفُ بها يُـعَـذِّبُـهـا
أَنْـيـابُـهـا نُـزِعَـتْ وكيفَ يُريـ ـدُ تـراهُ يُـرْضِـيها ويُـغْـضِـبُـهـا
وَعَـقـيـلَـةُ الأفـيالِ تَـتْـبَـعُ فى يَـأْسٍ غُلاما وَدَّ يَـسْـحَـبُـهـا

***

لَوْ شاءَ يَجْذِبُها ويَضْرِبُها بِعَصاً تُطاوِلُهُ يُقَلِّبُها
واللَّيْثُ عاش العُمْرَ مُقْتَدِرًا لكنه يَأْبَى يُجَرِّبُها
يَلْقى الهوانَ وليس يَعْصِمُهُ قُوىً تُمَكِّنُ حِين تَشْجُبها
وشجاعةٌ مِنْ فارس عُهِدَتْ كالحُلْمِ تَذْهب يومَ تَسْلِبُها
فى الجُبْنِ يَهْوى إنْ تَكُنْ رَغِبَتْ لوكان هذا الحالُ يُعْجبها
ويجىءُ رَمْسَ القَبْرِ مُنْدَحِرًا فى أمْسِهِ كَم كان يَرْهَبُها
وتتابعُ الدَّقَّاتِ شِرْعَتُها كُلٌّ يَهِيمُ بها وَيَرْقُبُها
ويعيشُ مُفْتَرًا بها فَرِحٌ بحياته والكَوْنُ يَحْسِبُها

قال المفكر دمنه

هى لُعْبَةُ المَفْتونِ والأسدِ بالنَّابِ والأسنان والعَضُدِ
يموتَ بالتزيق مُنْهزما مَنْ كان كالثِّيران يَلْعبها

***

إحْذَرْ مَلِياً خِدْعَةَ الأسدِ كالبرق يَرْمى الصَّيْدَ بالكَمَدِ

هُوَ قاتِلٌ هو خاتِلٌ هو غائِلُ

ألاً ثَلاً قَتْلاً خَتْلاً سَحْلاً تَلاً قَصْلاً وَيْلا[1]

***

(١) ألا طعنا . ثلا أهلاكا . قصلا قطعا .

يسقيكَ كَأْسَ العَيْشِ سُماً ... في مَذاقِ الشَّهْدِ طَعْماً

قال المبجل شتريه

كالشَهْدِ كانت لى حلاوتُها ... للموت سارت بى ثُمالتُها

قد كان حَيْنى ما يُغَرِّرُنى ... ولِحاظُهُ مَوْتٌ قَساوَتُها

مالِى وسبعٌ ليس يُشْبِهُنى ... أَنْيابُهُ كالسيف حِدَّتُها

وَإخالُنى يوماً ذَبيحَتَهُ ... وَدَمِى كَخَمْرٍ وَدَّ صَفْوَتَها

وأنا طَعامى فى المُروجِ وَإِنْ ... رُمْتُ المُدامَةَ ذُقْتُ نُضْرَتَها

والحَقُّ قولُكَ عن خِداع الغادرِ ... فى العين يشبِهُ زَهْرَةَ النَّيْلَوفَرِ

وأنا أتيتُ كَنَحْلَةٍ للماكر ... تَسْعى إلى شَرَكِ الفَناءِ المُزْهِر

لم تَدْرِ أَنَّ الزَّهْرَ يُمْسِكُها ... وَبِسِحْرِهِ الفَتَّانِ يُهْلِكُها

أَوْراقُهُ بالحُسْنِ تَشْبِكُها ... وَأَرِيجُهُ بالعِطْرِ يَمْلِكُها

وَمَذاقُهُ كالشَّهْدِ يَلْبُكُها ... وخِداعُهُ كالخَمْرِ يَرْبُكُها

وَرَحيقُهُ كالنَّارِ يَسْبِكُها ... والموتُ مُخْتبئاً سيُدْرِكُها

يسَقى الهَلاكَ شرابا ... وتراهُ يُغْلِقُ بابا

وتموت فى النَّيْلَوْفَرِ

أوكالغزالِ وقد أتى نَهَرا ... حيثُ اغْتَلَى فى ظَنِّهِ حَجَرا

ورأى الحقيقَةَ بَغْتَةً وَفَمُ التِّـ ... مْساحِ يُنْهى الأمْرَ بل أَثَرا

وَيَبيدُ قبلَ تَدبُّرِ

عَـبَـثـاً يَسُوق الوُدَّ بـاذِلُـهُ إنْ كـان صـاحبُـهُ يُـخاتِلُهُ
ومثالُـهُ مَـنْ بالنصيحة يَهْـ دى ناطِـحا فالقَـرْنُ قاتِلُه
أو قادمٌ للبُـكْـمِ يُنْشِدُ هُـمْ شِعْـراً ويرجو مَـنْ يُساجِلُه
أو بـاذرٌ فى أرضِـهِ دُرَرًا أو سـائِـلٌ مَـيْـتـاً يُـجادِلُـه

قال المفكر دمنه

دَعْ عَـنْكَ قولَكَ هـذا هَلاَّ تُـريـدُ مَلاذا
فى السبع حسبُكَ فَـكِّـرْ أَمْ قـد عَـجَـزْتَ تُـدَبِّـرْ

قال المبجل شتربه

مـاذا سـيـنـفـعنى احـتـيالى والأمْـرُ أكْـبَـر مِـنْ فِـعالى
فـالسـبـعُ تحكـمْـه طِـبـا عٌ لا تُـقـاومُـهـا خِـصالى
غَـدْرٌ تَـراكَـمَ فى العُـيو ن وَقَـسْـوَةٌ فوقَ الخيـال

***

إعْـلَـمْ فَـدَيْـتُـكَ دمـنـهْ مـا عـاد فى الأَمْـرِ دُجْـنـهْ

***

لو كـــان يـــرغب خيرا   والصَّـــحْبُ تَـــقْصُـــدُ شرا
عَــبَــثــاً ســأدْفَــعُ ضُــرَّهُ   وغَــدِي ســيــحْــفَــلُ قَــهْــرا

***

إنَّ الــمِــثــال لخالق جَــمَــلُ   أَمِنَ الصِّحاب فَخانة الأَمَلُ
وَبِــغَــدْرِهِــمْ قَــتَــلُــوهُ   وبِــنَــابِــهِــمْ أَكَــلُــوهُ

قال المفكر دمنه

قل كيف ذلك شتربه

***

الفصل الحادى عشر

الضيف

قال المبجل شتربه

بَطَلُ المِثال مُسَنَّمُ فَوْقَ الرِّمالِ مُعَظَّمُ[1]
فى لَيلَةٍ تَركَ الرِّفا قَ وقد علاهُ تَجَهُّم
مُتَألِّماً مِنْ صاحب مُتَجَبِّرٍ لا يَرْحَم
اليوْمَ أَقْسَمَ أَنْ يُبا دِلَهُ لِيَأْتِىَ مُشْحِم
قد عابَهُ لنَحافَةٍ مِنْ قَبْلُ كان يُكَرِّم
فَمَضى وَحيدًا باكيا وكأنهُ يَتَهَدَّم
يَشْكو خِيانة صاحِبٍ بِهَدِيرِه يَتَظَلَّم
ورآهُ فى الصَّحْراء فى وقتِ الهَجيرَةِ ضَرْغَم

***

وتحادثا وتلاطفا وتعارفا وتعاطفا

***

وَرَنا إليه الضَّرْغَمُ مُتَسائلا يَتَفَهَّمُ

***

(١) المسنم الجمل المعنى المخلى لا يركب .

لِمَ كُنتَ تَهذِرُ باكياً وأرَى دُموعَكَ شاكيا
فأجابَهُ وَفؤادُهُ فى حُرقَةٍ يتَألَّمُ

***

إنِّى ابتُلِيتُ بماكرِ لِلوُدِّ ليس بِذاكِرِ
هُوَ صاحِبى وَيُريدُ بَيْ ـعى فى صَبيحة باكر
وَلذا أهِيُم مُشَرَّدا كيف الأمانُ لغادر

***

فَرنا إليهِ الضَّرغَمُ مُتلَطِّفاً يَتَبَسَّمُ

وأجاب حَسْبُكَ تَعْلَمُ

مَنْ آمنَ الإنسانَ قد صاحبَ الأحزانَ

وغدًا يرى النِّسْيانَ

هَيَّا أريكَ مَغارتى سترى المُقامَ أمانا
وتعاهدا وتعانقا وتصاحبا وتصادقا
مَضَيا معاً وتعرَّفَ الجَمَلُ فى غارِه بصَحابَةٍ رَذِلوا
ألفى ابنَ آوى كان ينظر غاضبا وكذا غُراباً كان يَنْعَقُ صاحبا

بجوارِهِ ذِئْبٌ يرحِّبُ كاذبا

رَضِيَ المُقامَ بِقُرْبِهم ويقولُ حَسْـ ـبِى رأسُهم شَهْمٌ ويصلُحُ صاحبا
وأعانَهُ طَبْعُ التَّصَبُّرِ فى حيا ةِ لا تُطاقُ ولا تُجيبُ مطالبا
يُمْضِى الليالى صامتا يَجْتَرُّ أَيَّـ ـامَ الشباب وكيف يَرْجِعُ ذاهبا
واللَّيثُ يُجْرِى للِّئامِ مَعاشَهُمْ مِمَّا يَصيدُ وكان دَوْماً آدِبا

***

مِنْ حولِهِ عاشوا رَزايا يُلْقِى إلَيْهِمْ بالبقايا
كانوا كسالى قانِعِيـ ـنَ بما يجىءُ مِنَ العَطايا

***

يَوْماً سَعى الضُّرْغامُ للصَّيْدِ لِغَدائِهِ وكَتيبَةِ الجُنْدِ
ورآهُ فِيلٌ فَوْقَ رَبْوَتِهِ فى العَيْنِ يُخْفِى الأُفْقَ كالطَّوْد
أنيابُهُ للحربِ مُشْرَعَةٌ لَمْ تَأْتِ يوما فَجْوةَ الغِمْد
صِنْوانِ لا حربٌ يُفَرِّقُ أو سِلْمٌ يمزِّقُ وِحْدَةَ القَصْد
تَهْوَى التَّلاحُمَ والدِّماء إذا حَمِيَ الوَطيسُ وللرَّدَى تُرْدِى
وجرى قِتالٌ طاحن عَرِمٌ عِنْد الْتِحامِ النِّدِّ بالنِّدِّ
فكأن يومَ البَعْثِ نَشْهَدُهُ حتى الصُّخورُ تَقُوم كالحَشْد
وَعَلا صِياحُها وهِزَّتُهُ شَمِلتْ وسيعَ الكون كالرَّعْد
الليثُ يُجرى الحربَ مُقْتَدِراً والفيلُ رَبُّ الحربِ فى الصَّدِّ
سُحُبُ القتامِ سَمَتْ مُحَلِّقَةً فى كل ناحية بلا قَصْد[1]

(١) القتام الغبار .

والعينُ تَعْجَزُ أَنْ تُلاحِقَ ما يجرى مِنَ التَّصْويبِ والرَّدِّ
هُزِمَ الغَضَنفرُ عاد مِنْ أَلَمٍ في الغار يَشْكو الجُرْحَ في الزَّنْد

***

ماذا ترى فَعَلَ الثِّقالُ والحال طــــال لها المآلُ

***

كانوا جميعا كالرَّزايا مِنْ بعد أَنَّ خَسِروا البَقايا
والسبعُ جاثٍ لا يُفا رِقُ مَكْمَناً بين الخَفايا
لا الصيدُ يأتيهم كما أغـ تادوهُ أو بعضُ العطايا
جاءوا وقد خَسِروا البَقا يا والعطايا والهدايا

***

لَحَظَ الغضنفرُ حالَهم قد كان يشكو مِثْلهم
فالجوعُ يُهلِكُ جِنْسَهم والصَّبْرُ يُنْكِرُ طَبْعهم
رِفْقاً بهم جَمَعَ الرِّفا قَ مُفَصِّلاً نُصْحاً لهم
ومضى يقول وعينُهُ تَرنُو وتدرِكُ جُوعهم
الصبر فاضَ بِكُمْ وإنَّ الجُوعَ أَمْرٌ ليس يَرْحَمْ
رُدُّوا بِصَوْتٍ لا يُكا دُ يَبِينُ فالجَوْعانُ أَبْكَم
الصبرُ شيمَتُنا وجُنْ دُكَ حِينَ تَشْكُو كيف تَطْعَم

والليث رد بقوله

ما كنتُ أَرْضَى الجُنْدَ تنتظرُ والخيرُ كَسْبُ العيشِ فانتَشِروا

***

الذئبُ يأخُذُ ناصِيَهْ وكذا ابنُ آوى رابِيَهْ

أما الغُرابُ فما أرا هُ سِوى ذَكِيٍّ داهِيَهْ

في الجَوِّ يَرْقُبُ كُلَّ صَيْـ دٍ ثم يُخْبِرُ ماهِيَه

إنّي نطقتُ الأمْرَ فأْتَمِروا

وأراكُمو أهْلاً لشُكْـ رٍ سَوْفَ يَمْلأُ ذاتِيَهْ

***

أخذوا جميعاً ناحيهْ مُتَسَتِّرينَ بخابِيَه

مُتَجمعين بها فما انتشَروا ومخالِفين الأمْرَ وأْتَمَروا

كانوا كِلابا عاصِيَهْ

ألْقوا إلى الأعشابِ نَظْرَتَهُمْ ورأَوْا بها ما شَدَّ فكرَتَهُم

في همسَةٍ نَعَقَ الغُرابُ تكا دُ العين تلحَظُ قائماً عَجَبا

فَهِمَ الجميع إشارَةً بَدَرَتْ وكأنّها قد حققت طَلَبا

رَدَّ ابنُ آوى بل أكادُ أرى شيئاً هُناك محطّماً حطَبا

قال الغرابُ لِمَ الخِلافُ وهَلْ ذا الشيءُ يَهْدِرُ صاخِباً طَرَبا

وبِوحْدَةٍ مِنْ فورِهِمْ هَمَسُوا بَلْ إنّهُ مَنْ يطْحَنُ القَصَب

طَبْعُ الخِيانَةِ كان رائدَهُمْ ما كان فيهِمْ مُنْكِرٌ أَرَبا[1]

دارَتْ عيونُهمو إلى الجَمَلِ والجوعُ يأْبى كثرَةَ الجَدَلِ

(١) الأرب الحاجة .

قد شدَّهُمْ نَهَمٌ إلى العَمَلِ صاحوا جميعا صَيْحَةَ الأمَلِ

***

إنَّا نرى فى أرضنا جَمَلا فى رِقَّةٍ وَوَداعَةٍ حَمَلا
الذئبُ قال مُفَصِّلاً عِلَلا متجنِّباً فى أمرِهِمْ زَلَلا
هـذا ابنُ عُشْبٍ دامَ متمَرِّغاً نَوَّاما
هُوَ ما نُريد وَلِيمَةً لَوْ نُقْنِعُ الضُّرْغام
نُعْطى الغَضَنفرَ فَخْذَتَين وإنْ أرادَ سَناما
وينالُ كُلٌّ هَبْرَةً مِمَّا يَشاء طَعاما
ولسوفَ يَكْفِى ما يَفيضُ لِعَيْشِنا أياما

صاح ابنُ آوى قائِلا

ما كان هذا يارِفاقِى رَأْيا فالسبع يرغب أن يكون وَفِيًّا
أعطاهُ عَهْدًا كيف يَفْصِمُ عَهْدَهُ سيقولُ لحمُ الضَّيْفِ ليس هَنِيًّا

صاح الغراب فقال لا

إنِّى الغرابُ ولاسِواىَ من الطُّيُورِ إذا أردتُ مَحا النَّعِيبُ سَلاما
الموتُ يُرْسِلُهُ جَناحى طائرا ما كان ذا بين الوَرَى أَوْ هاما

بِيَدِى يصير الوُدُّ بُغضاً دائِراً يَسْقِى القلوبَ قساوة وظلاما

ومضى يؤكِّدُ قائلا

ستَرون كيف فِعالى كَىْ تفْخروا بخصالى
سأحقِّقُ الاحْلامَ كَيْلا تَحْزَنوا بمآل
مُذَلْوِلياً بَدأَ المَسِيرَ إلى مكان الضَّرْغَمِ (١)
قد كان يُدْرِكُ أَنَّ عَيْنَ السبع تَنْفُذُ للدَّم
فى السير يَخْجُلُ كالجريح شكا كُسور الأَعْظُم
يُلْقِى الجناح على الثَّرابِ بِمِشْيَةِ المُتَهَدِّم
والرأسُ مالت فى ارتعاشٍ مثل شَيْخٍ كُهْكُم (٢)
لَمَّا رآه السبع قال بوَجْهِهِ المُتَبَسِّم
مالى آراك مُعَفَّرًا وَلِمَ السُّكُوتُ كَأَبْكَم
نَطَقَ الغراب وصوتُهُ يهتَزُّ عند تَكَلُّم
مَنْ ليس يبصِرُ كيف يُدْرِكُ صَيْدا مَنْ رامَ صَيْدًا كيف يرقُدُ عَمْدا
مَنْ ذا الذى كَسِلاً يُصِيبُ هذا هُوَ العَجَبُ العَجِيبُ
بالحَظِّ يكفُرُ إذْ يخَيبُ ويقول حَظِّى لا يُجِيب

رَدَّ الغضنفر ناقِما

ماذا أحالَكَ يائِسا فأتَيْتَ تَنْعَبُ عابِسا

(١) مذلوليا يسير فى ذل .

(٢) الكهكم الشيخ المسن .

فأجاب يَنْعَقْ باسِما

إنّا جنودُكَ شِدَّةً ورَخاءَ مِنْ خلْفِ عَرْشك حيلةً ومَضاءَ
ولقد رجَعْتُ إليك أحمِلُ فِكْرةً محمودَةً حتى تنالَ شِفاء
الذئبُ قال بها وقلتُ بها لأَجْـ لِكَ وابنُ آوى لا عَدِمْتَ غِذاء
فإذا قَبِلتَ الرأىَ كان كما تَرى فى التوِّ يَنْفُذُ طاعَةً وَوَلاء

رَدَّ الغَضَنْفَرُ ناقِما

قُلْ ما تُريدُ كفاك تَبْجَهِلُ

فأجاب يلهَثُ باسِما

قَصْدِى فَدَيْتُكَ ذلك الجَمَلُ

هُوَ صَيْدُنا فاقْتُلْهُ ولِطِبِّ جُرْحِكَ كُلْهُ

رَدَّ الغضنفر لائِما

هَلاَّ خَجِلْتُمْ أَنْ تقولوا أَفَما تُقَيِّدُكم عُقولُ
هذا كلامٌ لا يَلِيـ قُ ولا تقول به فُحُول
مَنْ قال أَنَّ الضَّيْفَ عِنْـ د غَضَنفر مِثْل قتيل
الدينُ والأخلاق والطَّـ بعُ الكريم لهم أُصُول
مَنْ آمَنَ المَلْهوفَ يأْ مَنْ يومَ حَشْرٍ ما يَهُول
ولقد نَطَقْتُ بِمَوْثِق والعَهْدُ عقْدٌ لا يزول

ولئن رُزِئتُ بحَتْفِي ما كنتُ آكُلُ ضَيْفِي

هذا خَسِئْتَ فظيع

فأجاب ينْعَقْ باسِما

الحَقُّ قولكَ لستُ أُنْكِرُ كيف أُنْكِرُ أو أحُولْ
تَفْديك عَيْنِي والفؤاد وما ملكتُ وذا قليل
لولاك ما نطق اللِّسانُ فأنتَ من جُرْحٍ عَليل
إنْ كنتَ ترفُضُ ما سَمِعْتَ ففي سبيلك ما نقول
فَصلاحُ جُرْحِكَ هَمُّنا نَفْديك جَمْعاً لو نطول

وكما تُحَدِّثُنا العُقولُ

المالُ يَفْدى صاحِباً عَلِقَتْ بكاهِلِهِ ذُنوبُ
والفَرْدُ يَفْدِي بيتَهُ لو هدَّدَتْ يوماً كُروب
والبيتُ يَفْدِي الحَيَّ إنْ أمرت بأن يُفْدى خُطوب
والحَيُّ يَفْدى القُطْرَ إنْ نَزَلَتْ على قُطْرٍ حُروب
وأرى ابنَ عُشْبٍ حَوْلنا يأتي فِداءً بيننا
لِيَكُنْ غِذاؤكَ جَمَلا حتى نُحَقِّقَ أَمَلا

والعقلُ يقبل عَمَلا

وَدَعِ الأمورَ وَخَلِّ عَنْكَ فَلَنْ تُقاتِلَ أُوتَرى
مِنْ دُونِ زَنْدِكَ سوف يَسْقُطُ عند بابك هادِرا

سَكَتَ الغضنفر قابِلا ... والقلبُ يَشْكُرُ ذاهلا
والعَيْنُ تنظر عاقِلا ... والطبْعُ يأمُرُ قاتِلا
والرأى يَلْزَمْ خاتِلا ... والجُوعُ يكفُرُ كيف لا

***

سُرّ الغُرابُ بسكتةٍ نطقَتْ ... حالَ المُقِرِّ فَصاحةً وَضَحتْ
فى التَّوعاد لصاحِبَيْهِ لِيْنـ ... ـهى فى اقْتِدارٍ فِكْرةً نَجَحَت

ومضى يُلَوِّحُ قائِلا

كَلَّمْتُ مَوْلانا فوافق مُذْعِنا ... والوقت آنَ لكى نُمَزِّقَ مُحْسِنا

وأفاضَ يَشْرحُ ما يُريد مُبَيِّنا

نأتى إلى الجَمَلِ اللَّحِيمِ مَعاً وما ... عَلِمَ السَّقِيمُ العقْلِ نِيَّتَنا
سنقولُ مولانا يكابدُ سَكْرةً ... ويوَدُّ قبل الموت رُؤْيَتَنا
ونضيفُ إنَّ الليثَ أصبح ضامِرا ... يَجْتَرُّ هذا الغِرُّ حِيلَتَنا
سيكون صاحِبُنا الفَهِيم كما عَهِدْ ... نا لا يَرُدُّ مجىءَ فُرْصَتُنا
وهناك عند السبع سوف يقول كُلُّ ... ما أقول نُقيم خِدْعَتَنا
كُلٌّ يَجُودُ بلحمِهِ وبشحمِهِ ... ونرى الكريمَ يصيرُ مِيرَتَنا[1]

***

(١) الميرة الطعام .

وهناك عند الطيبِ الجملِ بدأوا الخداع بأخبثِ الحِيَلِ
جاءوا به للسبع يدفعُهم جوع يُريد الفوزَ بالأمَلِ

* * *

وأمام عينِ رئيسِهِ بدأ الغرابْ بنفسِهِ

متباكِياً فى هَمْسِهِ

مولاى صبرُكَ طالَ والقلب يدرِكُ حالا
وأرى الفِداءَ حلالا فإليك طِبَّكَ مِنِّى

كَمْ نِلْتُ مِنْك نَوالا

رضيتْ بذلك نفسى والطيرُ أكرَمُ جنس
الذئب رَدَّ مع ابنِ آوى لا

مَنْ ذا يُطِيقُ شِفاءَ أخذ السَّواد رداءَ
ما فى غراب ناعِقٍ شِبع بل فى صِياحك ناعِباً جَزَعُ
مَنْ ذاق لَحْمَكَ غالَهُ هَلَعٌ ومَذاقُ عَظْمِكَ كُلُّهُ فَزَعُ

* * *

وَقَفَ ابنُ آوى بعدَهُ يَعْوى ويرفع زَنْدَهُ

ومضى يُؤكِّدُ وُدَّهُ

أنْظُرْ لأعظمِ آوىَ أملْ لِمَنْ يَتَداوى
مَنْ ذا بِهِ يتساوى تَفْديك لو شئت عيى

قلبي إليك تَهاوى

تهفو لذلك نفسي فانْعَمْ بأفضلَ جنسِ

الذئب رَدَّ مع الغراب بِلا

لنا نراك دواءً حتى تكونَ فِداءً

أنت ابنْ آوى وِلْدْ دَفْرِ والموت يتبع أُمَّ دَفْرِ[1]
هيهاتَ طِبٌّ مِنْ طَعا م طَعْمُهُ يُلْقِي لكُفْر

***

الذئب جاء لدوره متصايحا مِنْ فَوْرِه
متأكدًا مِنْ شرهِ

إنِّي الحكيمْ الذئبُ ما في الفَضِيلة عَيْبُ
لَحْمي شَحِيمٌ رَطْبُ عَظْمي شديد عَذْب
ياسبع طِبُّكَ عِنْدي قلبي القوى زَنْدي
ودوام رَغْبِك قَصْدى ما غيرَ ذئبٍ يغني

(١) الدفر النتن . أم دفر الدنيا .

وغـبَتْ لـذلك نَـفْسى والـذئب أنـبـلُ جِـنْسِ

رَدَّ الغراب مع ابنِ آوى لا

الـذئبُ لـيس غَـنـاءً حتى نُـطـيقَ بَلاءً

إنْ شِئْتَ طَعْمَ الموتِ تحفظُه فالِيك لَحْمَ الذئبِ تَلْمَظُه[1]

مهما صَبَرت مُكابرًا زَمَنا تُبْدى الشجاعةَ سوف تَلْفظُه

وتراك لستَ مُحَقَّقاً أملاً مهما جَهدتَ مُحاولا جَدَلا

***

وعيونهم فى لَمْحَةٍ لَمَعَتْ ولِرابعٍ فى لَفْتَةٍ وَمَضَتْ

قد كان رابِعَهم هُنا الجَمَلُ ما غيرَهُ فى رأيهم نَفَلُ[2]

***

ورأى العيونَ إليه شاخِصَةً تَرْنُو ليفعَلَ مثلما فَعَلوا

فمضى يحدِّثُ نفسَهُ وَجِلا ويقول كيف العُمْرُ يُبْتَذَلُ

والخوفُ أنِّى لو أبَيْتُ فِدىً سأرى هَوانا ليس يُحْتَمَل

والخير افعلْ مثلما فَعَلوا فالعُمْرُ يغْرُبُ حين يكتَمِل

والصَّحْبُ فى ظَنِّى سيرفُضُنى عندَ الفِداء ويوصَلُ الأجَل

وأرى الغَضنفر ليس شِيمَتهُ يَرْضى دِماءَ الضيفِ تَنْهَمِل

فأعودُ بين الجمعِ مُكْتَمِلا شَأْناً وأَفْضُلُ مثلما فَضلوا

***

(١) لمظ تتبع الطعام بلسانه

(٢) النقل الغنيمة والهبة .

أَخَذَ المكان مُطَرِّباً بِهَديرِهِ ومضى يقول مُكَذِّباً لِضَميرِهِ

وفؤادُهُ مازالَ يَبْتَهِلُ

يا سبعُ جِئْتُ رَضِياً ولِذا أقولُ مَلِيّا
وَجَبَ الفِداءُ عَلَيَّ فَلَكَ الشِّفاءُ هَنِيّا
عَضُدِي القَوِيُّ طَرِيفُ وكَذا السَّنامُ مُنِيفُ
ودمي الزَّكِيُّ كَثيف عِشْتَ الحياةَ رَضِيّا

* * *

وَخُذِ النَّصيحة عَنيَّ ياليثُ طِبُّكَ مِنِّي
سَمُحَتْ بذلك نَفْسي وإليك أَطْهَرَ جِنْسِ
وَبِذا أكونُ صَفِيّا مُتَأَدِّباً وَوَفِيّا

* * *

صاحوا جميعا صيحةً شَمَلَتْ رَنَّتْ لِتُعْلِنَ فَرْحَةً كَمُلت
الحق قولك أيها الجملْ في نَهْشِ لحمك يَحْسُنُ العمل
هيّا إلى السَّنَمِ الشَّحِيمِ هَيَّا إلى العَكِدِ اللَّحيم
وثبوا إليه جميعا وَقَضوْا عَلَيْهِ مطيعا

* * *

فانظُرْ لحالي باكياً وتألمْ هذا المثال بما جرى يتكلَّمْ
هِيَ وِحْدَتي ما بين إلْبٍ كُلُّهُمْ شَرٌّ تَلَبَّدَ تَحْتَهُ أَتَحَطَّمْ[1]

(١) الب مجتمعونَ عليه بالظلم والعداوة .

ماذا أقول لدى المليك وقولُهم　　سَدَّ المنافذَ كيف مِثْلى يَسْلَم

لوكان قلب السبع يقطُرُ طِيبَةً　　مِنْ حَوْله الآفاقُ لم تَتَبَسَّمْ

أوكان يرغب فى القضاء عدالةً　　سيفُ العدالة بالوِشايةِ يَثْلَم

فالهمسُ يذهب فى القلوب برَحْمَةٍ　　وبرِقَّةٍ وسَماحَةٍ تتَنَسَّم

لوكان قلبُ السبع صَخْرا　　فالهَمْسُ يفعل فيه سحْرا

أوَما يذوبُ الصخر مِنْ　　ماءٍ يسيلُ عليه حدْرا[1]

قال المفكر دمنه

شَجَناً سمعتُكَ آسِيا　　والقلب يَخْفُقُ باكيا

فانظُرْ بِفِكْرٍ واعيا　　حَلاً لتَدْرَأَ خافيا

قال المبجل شتربه

قد جَلَّ أَجْرُ المرءِ عند صلاتهِ　　ويَزيدُ أجرا عند صدِّ غزاتِه

فَهْوَ الجِهادُ ولا سِواهُ لمَنْ رأى　　صَدَّ العَدُوِّ مُضَحِّيا بحياته

بيْن المليك وبينى　　حَرْبٌ تدور بظنى

عندى عَتاد للوَغَى　　زَنْدى القوىُّ وقَرْنى

بهما سأضرب ما قَدِرْ　　تُ لكى أُدافعَ عنِّى

قال المفكرُ دمنه

مالى أراك تَهُزُّ رأسك شاهرا　　قرنَيْكَ مِنْ أَجْلِ القتال مُخاطِرا

مُتَعَجِّلاً للطَّعْنِ يومِ وقيعَةٍ　　أنَسيت أنَّ الحرب تأتى آخِرا

(١) حدرا من علو إلى أسفل.

أَحْرَى بِكَ التفكير فيما قد يُنما   جِئْكَ العَدُوُّ بهِ لتغدُوَ ظافِرا
وأقْرَعْ مُماحَلَةً بكَيْدٍ مِثْلِها   فالسبع موتٌ حين يفتِكُ غادرا
لو أَلَّبَ الأعْوان ضدك خِفْيَةً   سَتَراهُ في يوم الوَقيعَةِ قاهرا
فاحذَرْ عدوًّا قد يَغُرُّكَ حالُهُ   ذا حيلَةٍ فالحال يخدع ظاهرا
ما أنت فى بَطْشٍ بأقوى مِنْ وكيـ   لِ البحر لَماً عاد يأسفُ خاسرا
ذَاقَ الهزيمَةَ إذْ طَغَى   مُتَحدِّياً للبَّبغا

قال المبجل شتربه

قل كيف ذلك دمنه

* * *

الفصل الثانى عشر

السلحفاة الطائره

قال المفكر دمنه

فى ساحل البحر المحيط بأرضنا قد عاش ذاك البَبَّغا مُستَوْطِنا
مثلَ البلابلِ كان يصدَحُ آمنا وبَنى على الرَّملِ الرَّطيبِ المَوْكِنَ [1]
لكِنَّ خُلْفاً جاء يهْدِرُ طاحنا مِنْ زوجة ليست تُطِيقُ تَوَجُّنا [2]
قالت له يوماً كَرِهْتُ مواطِنا والعقل يأمر أَنْ نُباعِدَ عن هُنا

فإذا بَنَيْنا العُشَّ صان فِراخا

دَهِشا أجاب الببغا

ما فى المكان فِراخُ

رَدَّتْ عليه بقولها

وَيْحِى لزوجٍ ليس يعلَمُ موعدَ الإ فْراخِ وَيْلَكَ إنْ جَهِلْتَ فِخاخا [3]

غَضَباً أجاب الببغا

أوما كفاكِ صُراخُ هذا المكانُ رَخاخُ [4]

رَدَّتْ عليه بقولها

هَلْ فى طباعك غَفْلَةَ يابيغا أَمْ أَنَّ عقلكَ فى مشيبِكَ شاخَ
قد عِشْتُ جَهْلاً بالحياةِ مطيعَةً أرضى بِوَكْنٍ فى الوَقيعَةِ ساخ [5]

(١) الموكن العش .

(٢) التوجن الذل والخضوع .

(٣) الإفراخ التفريخ .

(٤) رخاخ رخاء .

(٥) الوقيعة مستنقع فى الطين .

وأخافُ أن تُؤذى فِراخى مِنْ وكيـ لِ البحر تحت المَوْجِ وَيْحَكَ صاخ (١)

بالحَبّ ردّ الببغا

حتْما هُنا التَّفْريخُ فالعقلُ فيك فَسِيخُ (٢)

رَدّتْ عليه بقولها

إنْ كُنْتَ تَنْسى لستُ أنسى ما جرى لما وكيلُ البحرِ ثار وطاخَ
قد قال وقْتَ المَدِّ تحْذيرًا لنا أين السَّكِينَةُ قد حُرِمْتُ نَقاخا (٣)
وأخافُ يذهب بالفِراخ بِلَيْلَةٍ وأراهُ أَهْوَنَ لو مثيلُك ثاخ (٤)

كالنِّسْر رَدَّ البغا

أَوَ ما كفى التوْبيخ

رَدّتْ عليه بقولها

الكِبْرُ شيمةُ مَنْ غَوى والخوفُ يَدْهَمُنا الجَوَى
ما كنت مثلَ وكيلِ بَحْـ ـرٍ فى الشَّكيمَةِ والقوى
فاحذرْ عدواً سوف يذ هب بالصِّغارِ إذا نَوى
واتبعْ نصيحة زوجة والنُّصْحَ وَيْلُكَ ما غوى

كالليث رَدَّ البغا

هنا فى مكانِك أفْرِخى لا تَجْزَعى أو تَصْرُخى
أنا لستُ أرهبُ مِنْ وكيـ ـل البحر أو أنْ تَقْلخى

(١) صاخ رسب .
(٢) فسيخ فاسد .
(٣) النقاخ النوم فى عافية وأمن .
(٤) ثاخ رسب .
(٥) قلخ هدر وضرب الارض .

ردَّتْ عليه بقولها

يكفيكَ تُبْدِى شِدَّةً وتألُّفا هَلاَّ عَلِمْتَ بقِصَّةٍ عن سُلْحَفا
غفلت لما عاشت لِتُدْ رِكَ زَلَّةً وتأسُّفا

حُبًّا أجاب الببغا

هاتِ المثالَ كَفَى أكا بِدُ غِلْظَةً وتَعَجْرُفا

ردَّتْ عليه بقولها

السُّلحَفا مَنْ ذا سِواها جوْسَقٌ وَمُحاربٌ لَبِسَ الدُّروعَ وزورقُ[1]
تحت المياهِ جَثُومُ وَبلا الشِّراع تعومُ[2]

***

سكنتْ غديرًا ماؤهُ يَترقْرَقْ مُتَلأْلِئٌ ينمو عليه الغَلْغَقُ[3]
مِنْ حَوْلِهِ الأَعْشابُ والوَرْدُ والعُنَّابُ

***

بِجِوارها فى الماء عاشت بطَّتا ن بِلا هموم أوشجونٍ تُؤرِق
وَمُصاحِبُ الأيَّامِ يَلْهو مع الأوْهامِ

***

(٢) جوسق قصر . (٣) الغلغق نبت مائى ورقه عريض .

(٢) جثوم لابدة فى القاع .

بدأ الغدير يَغِيضُ قُلْنَ بِفَزْعَةٍ   سيضيعُ إنْ جَفَّ الهَناءُ المُغْدِقُ

كُلٌّ يَوَدُّ رَحِيلا   فالماءُ باتَ قليلا

***

وأَتَتْ إليها البطَّتان وقالتا   إنَّا سنَرحَلُ قبلَ صَيفٍ يَحرِقُ

فتنهَّدَتْ بأنِينِ   وتألُّم وحَنِينِ

***

باتَتْ تُفَكر فى المَصِيرِ تَخَوَّفَتْ   مِنْ وِحْدَةٍ كالقبرِ ليست تَنْطِق

وتظاهرت بالجَهْدِ   فى سيرها عن عَمْدِ

حتى السلاحِفُ أَتْقَنَتْ   صُوَرَ الخداع لقَصْدِ

أَبَتِ الوداع وأقسَمَتْ   ما مِنْ وداعٍ عِنْدى

أخذت تصيح بلَوْعَةٍ   وكأنها تَسْتَجدى

حَقَّ الرَّحيل لمِثْلِى   فأنا اشْتَهَرْتُ بِذَبْلى(١)

لما يَجِفُّ القاعُ فى   صيف سيثقُلُ حِمْلى

كيف السبيلُ إلى الرَّحيـ   ـلِ وكيف أترُكُ رَحْلى

فأجابتا إنْ شِئْتِ هَيَّا   سنطيرُ فى صَفٍّ سَوِيَّا

وَدَّتْ تُصَدِّقُ قولَهم   لتطيرَ زَفًّا مِثْلَهُم

(١) الذبل ظهر السلحفاة البحريه

أَخَذت تُوَلْوِلُ بينهم

طيرانُ مِثْلى مستحيلْ كيف التَوَصُّلُ والسَّبيلْ
أينَ المنَجِّى والمُقِيلْ والدِّرْعُ مِنْ حَوْلى ثقيلُ

فاجابتا من ذا يقولُ

المستحيلُ لنا هُراءْ لا طَيْر يُعْجِزُها رجاءْ
نَرْقَى السَّماءَ كما نشاءُ وليس يَخْذُلنا هواء

***

مثلَ النجوم نطيرُ فوقَ الفَلاةِ نسيرُ
بين الغُصون وإِنْ رَغِبْنا فى البِحار نَغُور
فوق الجبال وفى السَّحابِ كما نُريد نَدُور

***

سيكون فيما بيننا عُودٌ ليجمعَ شَمْلَنا
بين النَّواجذِ تُمْسكين به لنَمْضىَ كُلُّنا
لكنْ حَذارِكِ تَنْطقى حرفاً فلا تَتَشَدَّقى
إِنْ قلتِ حَرْفاً ضاع عُمْرُكِ قبل أَنْ تَتَحَقَّقِى

صاحَتْ بِنَقْنَقَةٍ لَهُمْ

سأَعَضُّ وَسْطَ العُود عَضّا جَزْلاً يكونُ وليس غَضّا[1]

(١) الجزل الحطب اليابس أو الغليظ العظيم منه .

وأطير فوق الـــريح مِـــثْـ   لَ النَّجْمِ بل وأزيدُ وَمْضا
قَـــد كـــان هـــذا فى رَبِـيــ   ع العُمْرِ حُلْماً جاءَ وَفْضا(١)
فَــلْــتُــسْــرِعــا بى إنَّ رِحْـ   ـلَتَـنا أَتَتْ حَـقاً وفَـرْضا
نَـعْـلو معاً فى الجَـوِّ كيـ   ـف أَرَدْتُما طولاً وعَـــرْضــا
عَـــلَـــتـــا بها وبَـــدا كـأن   السُّـلْـحَـفـاةَ تـطـيـرُ رَكْضا
ورأت عـــيونُ الـــنـــاس مـــا   يجرى نَسَـوْا للعَـيْـنِ غَـمْضا
أبصـــارُهـــم لـــيست تُصَـــدِّ   قُ والـفؤادُ يَـــزيـــدُ رَفْضـا
وتـــزاحـــمـوا وتصـــايحوا   وهـديـرُهُـمْ قـد هَـزَّ أرضـا
يوم الـــقِـــيـــامَـــةِ جـاءنـــا   فالسُّـلْـحَـفـاةُ تـطيرُ قَبْضا(٢)

صاحَتْ بهم ياعَيْنَكم

سـقـطَتْ هشـيـماً كالفُـتاتِ   لم تستَـمِـعْ لـلـنَّـاصِـحـات
كالصَّـقْرِ رَدَّ البَبَّغا

هـــذا عـــلـــمتُ بـــه وإنِّــ   ـى لا إخَـالُكِ تَـكْـمَـخى
والـرأْىُ عِـنـدى أَنْ تُـطِـيـ   ـعى فى مـكـانِكِ أَفْـرِخى

* * *

خضـعت لأمْـرِ الـزوج كـا   نت لا تـــجـــادل إن أمَـــرْ
وبَـــدَتْ صـغـار الـبـبـغـا   ء بـحُسْنِها تُمْلى الـنظر
وأَنى وكـيـلُ الـبـحـرِ يـلْـ   ـبِسْ مَـوْجـةً تُخفى الخَطَـر
وبَـــغْـــتَـــةٍ فى لَـمْـحَـةٍ   أَخَـذَ الـفِـراخَ ومـا ظـهـر
وبـفَـزْعـةٍ نـظـرتْ فـابْـ   ـصَرَتِ المكـــان بلا ذُرَرْ

(١) وفضا مسرعا .
(٢) قبضا بسرعة .
(٣) كمخ تكبر .

حَـــزِنَتَ ولامَتْ جــارهــا   لِـمَ لَـمْ يُـسبَـدِّلْ دارَهـا[١]

أخذَتْ تُعيد شِجارها

يـابـبـغـا قـلبى اكْـتَوَى   الـخُسْـرُ صاحبُ مَـنْ غَـوى
ذهــبت فِــراخى كــلُّــهــا   أَمَــلٌ تَـبَسَّـمَ وانْـطَوَى
كــانوا صِــغـارا رِيشُـهُـمْ   زَغَـبٌ رقــيــقٌ وانْـزَوَى
هـذا الـذى فى الـمَـدِّ كانَ   بـنَصِـيـحتِى فى الأمْسِ بَـانَ
قـد عِشْتَ عُـمْرَكَ عاصِـياً   لَـمْ تستَـمِعْ للنُّصْـحِ آنا

بالدَّمْعِ رَدَّ الببغا
الإنْــتِــقــام   ولا سِواهْ   مــمَّــنْ أغــارَ ومَـنْ حَماهُ

* * *

(١) جارها زوجها .

الفصل الثالث عشر

العنقاء والبحر

فى الجَوِّ للآفاق طارَ مثلَ النجوم عَلا وسار

***

لَمْ يَمْضِ يومٌ واحدٌ إلاَّ وقد جَمَعَ الألوفَ
مِنْ كُل جِنْسٍ طائر وَبِرَنْوَةٍ نَظمَ الصُّفوف

ومضى يصيح بجمعهم

يامَعْشَرَ الأطيارِ حَدَثٌ أَلَمَّ بِدارى
فوكيلُ بحرٍ آثِمٌ مَدًّا مضى بِصِغارى
والحربُ أُعلِنُها فَمَنْ منكم يجىءُ جِوارى
وأنا الذى عَرَفَ الجميع بنُصْرتى للجار
ولقد عَزَمت لأهزِمَنَّ مُوكَّلاً بِبِحار
ولأذهَبَنَّ مع الحُشودِ لأَخْذِهِ بحِصار
ولأشْعِلَنَّ الحربَ نارا والجَحيمُ شِعارى
حتى يبيدَ وَكيلُ بحْرٍ فى الوجود بنار

رَدُّوا عليه بقولهم

يابَبَّغا لك ما تريدُ لما يردُّ لطائِرٍ فَقَدَ الفِراخ رَجاءُ

لكَ في رِقابِ الطَّيْرِ آلاءٌ تُطَوِّ قُ كيف يُنْسى في الرِّقاب حِباء

ستكونُ حربَ كرامةٍ جُرِحت فلا يَحْمى الوكيلَ ونحن نَضْربُ ماء

لكنْ لِنَرْجِعْ قبلَ بدءِ الحرب للْـ ـعَنْقاء فَهْيَ على الورى عَنْقاء(١)

نَجْتازُ سَمْتَ الأُفْقِ تَظْهَرُ ألفَ نَجْـ ـمٍ طَوْقُها وحُلِيُّها وَرِداء(٢)

نشكو إليها ما جرى لك غِيلَةً فَلَها على رَأْسِ البِحار مَضاء

***

طاروا جميعا في صفو فٍ كالسَّحائِبِ حَشْدُهُمْ

واهتَزَّ سَمْتُ الأُفْقِ حيـ ـنَ عَلا كرَعْدٍ صوتُهم

ظهرت مليكتهم وصا حَتْ في صَلِيلٍ هَزَّهم

أخذت تُسائِلُهُمْ وكا ن الحزن يَشْمَلُ جَمْعَهم

عَلِمَتْ بشكوى البَبَّغا حَزِنَتْ وصاتَتْ فوقَهم(٣)

***

واهاً لأفراخِ واها الحربُ لا شيءَ سِواها

***

بدأت تُرَفْرِفُ بالشِّما لِ فطوَّحَتْ سُحُبَ الرِّمالِ

وَعَلَتْ تُطَوِّفُ للسمـ ـنِ فزلزلت شُمَّ الجبال

رجَعَت تُدَوِّمُ بُرْهَةً فَمَحَتْ صَعِيدًا مِنْ تِلال(٤)

(١) عنقاء داهيه .

(٢) سمت طريق .

(٣) صاتت صاحت .

(٤) تدوم تحلق .

صاحَتْ لنرِدِمَ كُلَّ بحـ ر في يمين أو شِمال
رَحْبا ولن يبقى سوى بَحْرٍ سيُتْرِكُ للسِّجال
لتكونَ حربَ كرامةٍ لا مِنْ فِرارٍ أوخِتال
بيني وبينَ وكلِ بَحْـ رِ ليس يُنْدِرِكُ أويُبالى

***

بدأت حُشُودُ الطيرِ تَرْ مى بالمَجانِقِ والنِّبال
والبحرُ ثار مُقاوماً هَوْلَ التَّرامي والقِتال
وجنودُهُ حَشَدَتْ على الـ أمواج تَضْرِبُ في تَوال
لَوْنُ الدِّماءِ كَسا البِحا رَ ومَنْ سَيَرْجِعُ في النِّزال
وعَلَتْ جموعُ الموجِ تَدْ رَأُ ما يجيء مِنَ الوَبال
والشمس جَدَّتْ في المَسِيـ رِ إلى نَجاةٍ مِنْ خَبال
حتى النجومُ تَخَوَّفَتْ وَدَّتْ تباعدْ للأعالى
والحربُ عَمَّ أُوارُها في كُلِّ وادٍ أو مَجال
في الليلِ شَدَّتْ والتَّرا مى شامِلٌ بين القِلال[1]
وكأنَّها بَعْثٌ تصا عَدَتِ الصُّخور من الجبال
رَدَمَتْ بحارَ الأرض إلاَّ واحداً مثلَ الهلال
ومع الحِصار شَبا وكيـ لُ البحرِ خَوْفاً مِنْ مآل
وَمُصالِحاً مَدَّ اليدَيـ نِ عليها جَمْعُ العِيال

(١) القلال الأعالى .

وتصافيا وتصافحا ... وتراضيا وتصالحا

وكما فهمتَ مِن المِثالِ ... أنا لا أَشُدُّكَ للقِتالِ

فالحرب يلزمها التزوُّ ... دُ بالحشود وبالنِّصال

وإذا سعيتَ لنَيْلِ حقٍّ ... فاعتَزِمْ قَهْرَ المُحال

***

الفصل الرابع عشر

العاصفه

قال المبجل شتربه

أنا لن أُبادِرَ بالقتال فما الشـ　　يرانُ تَبْدأ غِيلَةً حَرْبا

سأكونُ للسبع الصديقَ عَلا　　نِيةً وسِرًا طاهِرًا قَلْبا

حتى أرى التَّغْييرَ ثم أغا　　لِبُهُ وقَلْبي كارهٌ خَطْبا

***

لم تُرْضِ دمنةَ قِيلَةٌ مِنْ شتربةْ　　قد كان يَبْغِي اللَّسْعَ مثلَ العَقْرَبَةْ

ومضى يُفَكر كَيْ يفوزَ بحيلةٍ　　وكأن جِنًّا للمَكِيدَةِ دَرَّبَهْ

وأَتَتْ إجابَةُ دمنه

لَكَ لا سِواكَ تقول عيـ　　نُكَ فاسْتَشِرْها قبل خَطْوِكْ

لَكَ لا لغيرك صوتُ قلـ　　بك سَلْهُ واتْبَعْ أَمْرَ قلبك

أنا لن أُطِيلَ ولن أعيـ　　دَ النُّصْحَ حَسْبُكَ ما بِعِلْمِك

قال المبجل شتربه

أنا لستُ أعْرِفُ ما نَوى　　فالقلب يسْتُرُ ما حَوى

كيف السبيلُ إلى اليقيـ　　نِ بما يُحاوِلُ أوطَوى

قال المفكر دمنه

إنْ كـــان يـــرقُبُ فى أنـــا ةٍ خُذْ لنفسِكَ كُلَّ حِذْرِكْ
ســـيـكونُ غَـدْرًا مـا نَـوى لوكان ينظر صَـوْبَ قَـرْنِك
ستراهُ صَـــرَّ مُـوَجَّـــهـــا أُذُنَـيْـهِ يسمَعُ صوتَ خَـطْـوِك
مُـتَـجَـمِّـعَ الأطـرافِ يُضْـ مِـرُ وَثْـبَـةً تَـعْـلو لظهرك
أنـيــابــه ظــهــرت وقـد رَهَفَ المخالب قبلَ حَرْبِك[1]
واحــذَرْ مَـلـيــاً خـائِـنَ الـ ـعَيْنِ الذى يَهْفُو لقَتْلِك[2]
واهْـجِـمْ لِتَدْفَعَ خـافِـيـاً واضـرِبْ بِـزَنْـدِكَ أوبِـقَـرنك

قال المبجل شتربه

فَوْرًا سأضرِبُ طاعِناً وُمشَدِّدا ماكنتُ فى حربٍ أُطِيقُ تَهَدُّدا

***

حَـبَكَ الوقـيـعَـةَ دمـنـهْ مـا بـعـد ذلك فِـطْـنَـهْ

بالخَتْلِ أشْعَلَ فِتْنَهْ

ومضى لصـاحـبـه كـلـيلةَ فى فَرَحٍ لما بعد الوَقِيعَةِ زَجْنَهْ[3]

قال الأديب كليله

(١) رهف رقق .

(٢) خائن العين الأسد .

(٣) زجنة كلمة ونبسة .

كيف انتهيتَ وما الجديدُ

قال المفكر دمنه

العَقْلُ سَهْمٌ لا يَحِيدُ

قد باتَ شِرْبةُ فَقيدًا ليس يَعْوِزُهُ مَزيدْ
أوغَرْتُ صَدْرَ الغِرِّ بالأحْقاد يُخْطِئُها العَديد(١)
فهوَى وباتَ مُقَيَّدًا وغدًا سَيَحْصِدُهُ الشَّديد

قال الأديب كليله

بِئْسَ الذى أشْعَلْتَهُ نارًا وأنت لها وَقِيدْ

قال المفكر دمنه

سترى قريباً مَنْ يُجِيدُ

وأمامَ غارِ السبعِ جاءَ الثورُ يَحْدُوهُ ارْتِيابْ
وتلاقَيا مُتَحامِلَيْنِ الثورُ والأسدُ المُهاب
وتبادلا النظراتِ نارا كانَ يُشْعِلُها اقْتِراب

***

(١) العديد الاحصاء .

الـثور يخطُــرُ وَهْـوَ يـنْـ ـظر فى احتراسٍ واسْـتَـعَـدَّ(١)
والسبع صَـوْبَ الـثورِ قـد زَوْزَى لِيَلْـمَـحَ ما اسْتَـجَـد(٢)
مُـتَـجَـمِّـعَ الأطـراف فى حـذَرٍ وتَـمْـهِـيـدًا لِوَثْـبِ
وَمُـحَـدِّد الـنـظـراتِ تَـوْ جيها وتَمْكينا لضَـرْب

***

والثور شتربةٌ يُـغَـمْـغِمُ قائلا وفؤادُهُ يَـجْـتَـرُّ يأساً قاتِلا
يـاصـاحب الـثُّـعْـبـانِ قـد لُـذْت بـالأكـفـانِ

لا تأمَنَنَّ لِلَسْبِ (٣)

يـاصـاحب الـسُّـلْـطـانِ قـد جـئت شَـرَّ رِهـانِ

فرِحاً تسير لنَحْبِ (٤)

واهـتـزَّتِ الشَّـفَـتـانِ وتمايَـلَ الـقَـرْنـانِ

***

كالبرق هَـبَّ السبع وَثْباً زائِرا والثور أقدم دون خوفٍ خائرا
وأتى لَسْمِعِ الجُنْدِ صوتُها فجا ءوا فى زِحام كان حَشْدًا دائرا

***

(١) يخطر يضرب بذنبه .

(٢) زوزى نصب ظهره وقارب الخطو .

(٣) اللسب اللدغ .

(٤) النحب النحيب .

دار القتال وهم صفوفٌ واقفهْ عَصْفاً يُجال وكُلُّ عَيْنٍ خائفهْ
قَرْناً وزَنْدًا والقلوبُ مَرفْرِفَهْ قِرْناً ونِدًّا فى الْتِقاء الرّاجِفَهْ[1]

* * *

ضَرَبَ الغضنفرُ ضربَةً وطَدَتْ فى جِيدِ شتربةٍ وما شَرَدَتْ
وعلا صِياح الجند فى عجبٍ مِنْ أَمْرِ ضربة بُرْثُنٍ رَعَدَت

* * *

حَمِىَ القتال وكلُّ رُكْنٍ طائِفَهْ شَصْرًا وعَضاً والحناجر هاتِفَهْ[2]
قد هَزَّهُمْ هَوْلُ التَّطاحُنِ والتَّلا حُمِ والدماء من الجروح النازِفَهْ

* * *

وتراجَعَ الثور الذّكىُّ مُخادعا مُسْتَطْرِدًا للطَّعْنِ عاد مُسارعا[3]
جُرِحَ الغضنفر فى شِمالٍ والدِّما ءُ هَمَتْ وَرَدَّ بِصَفْعَتَيْن مُدافعا

* * *

وكذا الفِعالُ وكُلُّ جُرْحٍ شَرَّفَهْ وكذا النِّضالُ لها لحربٍ عاطفَهْ
مَنْ ذا سَيَجْثُو تَحْتَ زَنْدٍ خَطْرَفَهْ لو زاد غَلْثُ صارخا من قاصِفَهْ[4]

* * *

والثور رَدَّ بدورةٍ مِنْ قَرْنِهِ لينالَ مِنْ جَفْنِ المليكِ وعينِهِ
لولا انتباهُ السبع حين أتى بِدَوْ رَتِهِ التى رَدَّتْ خديعَةَ قِرْنِهِ

* * *

(١) الزجمة الصيحه أو النفخه الاولى يوم القيامه . (٣) مستطردا متظاهرا بالهزيمه ثم يهجم على العدو
(٢) الشصر نطح الثور بقرنه والطعن . (٤) خطرف ضرب . غلث شدة القتال .

وعَلا هِتافُ الجند مِنْ أجلِ المليـ ك فكلُّهم جَمْعاً سِباعٌ خاطِفَهْ
حتى الطيورُ أَتَتْ تُشاهِدُ ما يدو رُ كأنها سُحُبٌ تُشاهد عاصِفَهْ

وأتى كليلةُ عندَ دمنهْ

وتباعدا عن وقْعَةٍ وصَليلٍ ومُقاتِلٍ ومُشاهِدٍ وقَتيلِ

لأَخيهِ قال كليلهْ

إنِّى أَسِيتُ وما سَعِدْتُ بما يَجرى وقلبى حُرْقَةٌ لهُما

قال المفكر دمنه

ولِمَ النُّواحُ عليهما والحرب قد يَعْنى إذا ما اشتَدَّ مَوْتَهما

قال الأديب كليله

ياأيُّها الرَّذْلُ الجهول أَما ترى قد جِئْتَ عارًا عامِدًا مُسْتَهْتِرا

قال المفكر دمنه

ماذا أحالَكَ ذاهِلاً مُتَأَثِّرا هل أنت تأمَلُ أَنْ أعودَ القَهْقَرى

قال الأديب كليله

الثور ياشيطانُ قد ذُبح والسبعُ بين الجند قد جُرِحَ

أنت الذى بحماقة نَطَحَ

هَلاَّ اسْتَمَعْتَ لحِكْمِة الأجدادِ في قولهم لـهِدايَـةٍ وَرَشادِ

***

النُّصْحُ يَصْدُقُ للهُدَى لا للضَّلالَـةِ والرَّدَى

فَحَذارِ مِمَّنْ لا يُطِيـ ـقُ إلى سِواهُ تَوَدُّدا

وَحَذارِ صُحْبَةَ ناقِمٍ أخذ الحياة تحقُّدا

للخُلْفِ يسعى بالنَّميـ ـمَةِ جاهِدا ومُشَدِّدا

فاخْتَرْ مِنَ الأصْحاب صَفْـ ـوَتَهُمْ وكُنْ مُتَأَكِّدا

والعقل يطْلُبُ قبل خَطْـ ـوِكَ أَنْ تُحَدِّدَ مَقْصِدا

وإذا بذلت النُّصْحَ فالْـ ـزَمْ أَنْ تكونَ مُسَدَّدا

ماذا تراك أَتَيْتَ شَرًّا أراك جَنَيْتَ

إنِّى عليك لخائِفُ مِنْ شَرِّ نَفْسِكَ راجِفُ

للشر قلبُك ذاهِبُ وإلى المَهالِكِ آلِفُ

ما كنتُ أَحْسِبُ أَنَّ وَعْـ ـدًا منك دمنةُ زائِف

أَلاَّ تَضُرَّ السبع إنَّ العَهْدَ عِنْدَكَ عاسِف

في مثل حالك قالوا

مَنْ ليس تَسْنِدُهُ الفِعالُ كقولِهِ   لا خيرَ فى قَوْلٍ أتى مِنْ مثلِهِ
والعِلْمُ يُشْرِقُ بالضِّياءِ إذا التُّقى   شَمَلَ الفتى أو فالظلام بعقلِه
ولِمَنْ تَصَدَّقَ ما طَوَى مِنْ نِيَّةٍ   فإذا أساءَ القَصْدَ باءَ بمَذْلِه[1]
وإذا ملكْتَ فلَمْ تَجِدْ ذَنْباً جَلَبْـ   ـتَ وما جنيْتَ سِوى تفاقُمِ ثِقْلِه
والوُدُّ يَكْمُلُ بالوفاءِ فلا أما   نَ لِمَنْ يجيئُكَ والرِّياءُ بقوْلِه
وتطِيبُ فى الدنيا الحياةُ بصحةٍ   مِنْ دونها كَلٌّ ينوءُ بكَلِّه
وإذا عَدِمْتَ مع الأمان مَسَرَّةً   قَفْرًا أتيت ولا رُواءَ بمَحْلِه[2]

* * *

وأراك تَزْخَرُ عِلْما   وأراهُ يثْقُلُ غُرْما
إنَّ الذى أعطاكَهُ   ذا العلمَ زادَكَ جُرْما

* * *

العِلْمُ مِنْ دون التُّقى كنَقيصَةٍ   لا خيرَ فى عِلْمٍ يساندُ طامِلا[3]
كُلٌّ على مِنْوالِهِ فى نَسْجِهِ   خيرًا وشرًّا سوف يَحْيا باذِلا
مَنْ عَلَّمَ الخُفَّاشَ سيْرًا فى الظَّلا   مِ وكيف دُودُ القَزِّ يَمْكُثُ غازِلا
وأراك جِئْتَ إلى رِحابِ الخيرِ غيْـ   ـرَ مسالِمٍ وبمَنْ جوارِكَ ماحِلا[4]
فاسألْ ضميرَكَ دمنةْ   ماذا تُفيدُكَ فِتْنَةْ
إنَّ الصَّديق بمَنْ يكونُ بقُرْبِهِ   فى صَحْبِهِ تلْقى طَوِيّةَ قَلْبِهِ

وأرى المثالَ لمَنْ بقربِكَ دمنةْ

(١) مذله ما سمح به .
(٢) المحل الشدة والجدب .
(٣) الطامل الفاحش لا يبالى بما صنع .
(٤) ماحلا ساعيا إلى السلطان .

ظمآنُ جاء النهر مُنْتَجِعا مُتَلَهِّفاً هَيْمانَ مُنْدَفِعا
وأتى المياهَ يشدُّهُ عطشٌ فرأى تماسيحاً تجوبُ معا
من قبلِ شُرْبٍ طارَ ليس يرى رِبًّا يُساوى مِيتَةً هَلَعا
واراك حيث تكونُ تِمْساحا فى الغَيْرِ بالبُهْتانِ قَدَّاحا

أَنَسيتَ قولَ القائِلِ

ياسائِلاً عَناً وعن أحْوالنا أنظُرْ إلى الأصحاب بين ديارِنا
سترى زُهورا قد فُتِنتَ بسحرِها حُسْناً تَنَوَّعَ هل عَلِمْتَ بحالنا

أما أنا فأقولُ

لُعِنَتْ سَرِيرَتُكَ التى كَرِهَتْ رِفاقاً كنتَ فيهم
مَنْ تَرْتَجِيهِ تَوَدُّهُ وتصُدُّ عَمَّنْ يَجْتَبِيهِم
قد ساء قصدُكَ تَشْتَهى لَحْمَ الصِّحابِ وتَزْدَرِيهم
وإلى هواءٍ قد جرى نُصْحى ويذهبُ ما أقولْ
ومزيدُ شَرْحٍ لَنْ يفيدَ وإنَّهُ لوْمٌ يطول
قد بِعْتَ آخرةً بأبخَسَ ما يُباعُ به الجليل
عَبَثاً أُذَكِّرُ أو أفكِّرُ فى سبيلِكَ مُشْفِقا
سأعيد قَوْلَةَ فارسٍ للخير يَنْصَحُ لَقْلَقا
لما رآهُ مُحَمْلِقا نحو القرود مُلقْلِقا[1]
فأتى إليه مُنَبِّهاً ومُعَوِّقا مهما تُلَقْلِقْ لن تُقَوِّمَ قاقا[2]

(١) يلقلق صوت اللقلق .

(٢) القاق الاحمق الطائش .

الفصل الخامس عشر

اليراعة والللقلق

قال المفكر دمنه

قل ياكليلة كيف ذا

قال الأديب كليله

هي قِصَّةٌ عن لَقْلَق حَذِقَ الكلام كَمُفْلِقِ[١]
قد عاش قُرْبَ دَغيلَةٍ فيها القرود كَفَيلَقٍ[٢]
وأتى الشتاء بِزَمْهَرِ رٍ زادَ دون ترَفُّقِ
ليلاً رأى حَشْدَ القرو د وقد أتَوْا مثلَ الجنودِ
جَدُّوا لصيْدِ يَراعَةٍ خَفَّاقَةِ النُّورِ الحميد
لَمَّاعَةِ الألوان كالنِّـ يران فى البَرْدِ الشَّديد
واللَّقْلَقُ المَفْتونُ ينـ ظُرُ ذاهِلاً نحو القرود
مُتَعَجِّباً مِمَّا يُشا هِدُ مِنْ ذَوِى العَقْلِ البَليد
مُتَحَذْلِقاً مُتَشَدِّقا ومُبَقْبِقاً ومُلَقْلِقا
هَذِى القرود تَوَدُّ صَيْـ دَ يَراعَةٍ مِنْ نورِ
مِنْ جَهْلِها بحقيقةٍ تَسْعى إلى المَنْظُور
ما هَمَّها عِلْمٌ بِما فى الكَوْنِ مِنْ مَسْتور
وتخالُها نارًا وتصـ لُحُ جُذْوَةً لِحَرور[٣]

(١) المفلق شاعر مفلق .

(٢) الفيلق الجيش .

(٣) حرور حراره .

لـمْ تَـدْرِ مـا سِـرَّ التِها ع النَّمْنِمِ المَنْشور

واحَـرَّ قَـلْـبـاهُ على نُورٍ طَـريـدِ السجُور

يـائلَّـةَ الحَمْقَى كَفَى سَعْيـاً وراءَ غـرور (١)

يـاريحُ حَسْبُكِ ما جَلَبْتِ مِن الشِّـتـاء لـدور

يـاشمسُ قد طال الحنيـن إلى الـرَّبيـعِ فَدُوري

***

كانت أيادِيهِمْ تُمَدُّ وتَرْجِعُ خَلْفَ اليَراعَةِ خَوْفَ نار تلمَعْ

يَتواثبونَ وراءَها مُتَصايِحِيـن كأن أنوارَ اليَراعَةِ مَطْمَع

مِنْ دَوْحَةٍ لشُجَيْرَةٍ وكأنهم أمواجُ طُوفانٍ يَطوفُ ويَدْفَع

تَعِبَتْ من الطَّيران نامَتْ فوق غُصْـنٍ لا ترى شيئا وليست تسمع

***

جاءوا بأحْطابٍ فألْقوها علَيْـها فى ضَجيج عارمٍ وتَجَمَّعوا

ومَضَوْا بها حتى أتَوْا لزَعيمِهم فَأَشار حُطُوها أمامى أسْرِعوا

ولْتَجْمعوا ما جَفَّ مِنْ حَطَبٍ وتُلْـقُوهُ عَليها الآن لا تَتَخَزَّعُوا (٢)

مِنْ حولها أَقْعُوا جميعا نافِخِيـن كأنكم أنسامُ رِيحٍ تَفْرَعْ (٣)

حتى تزيدَ النارُ أكثرَ ثم تُعْـطينا لهيباً فى البرودة يَلْفَع (٤)

فيه الحرارةُ مثلَ نور الشمس إنِّـى قد أَذِنْتُ لكم بها فتمتَّعوا

***

(١) ثلة جماعة.

(٢) يتخزع يتخلف.

(٣) تفرع توقد النار.

(٤) يلفح يشمل ويكسو.

وتَصايحَ اللَّقلاقُ خطأً يردِّدُ قاقُ

سيخيبُ نَفْخُ كالنَّسيم أو العواصِفِ فاتركوها
ليست بنارٍ أو لَهيب أو شَرارٍ فاعْتِقوها
هِيَ مِنْ ضِياءٍ لا يُدفِّئُ في البُرودةِ فاطْلِقوها
إنِّي أُبَصِّرُكُم لِصَالِحِكم وأمْرُكم دَعُوها

لَمْ يَسْمعوا أوما وَعوْا

بدأَ التحرُّكَ عابِسا نحو القرود تَهَطْرُسا[1]
أَلْقِى بِقُرْبٍ فارِسا مُتَصايحاً مُتَحمِّسا
إرْجعْ مكانك ذا نُدودُ إنَّ القرود بهم عُنودُ[2]
لا تَسْتقيم لهم قُدود وزعيمهم فَظٌّ كَنُودُ[3]
فيهم لناصِحِهمْ صُدود وأخافُ يُحْزِنُكَ الجُحود

مهما تُلَقْلِقْ لن يُقوِّمَ قاقُ

فاجابهُ من فورِهِ اللَّقْلاق

أنا لَقْلَقُ الفَلَواتِ زادى مِنَ الحَيَّات
والشَّرُّ عِندى رُقْيةٌ كالموت عند عُداتى
فاذهَبْ لحالِكَ قانِعا وأنا الكفيلُ لذاتى
وارجِعْ لمعقِلكَ إذْ عَلِمْتَ بِقُوَّتى وصِفاتى

(١) تهطرسا تمايلا .
(٢) ندود شرود . عنود ميل .
(٣) كنود كفور بالنعمة .

ومَضَى إليهم واثِقا   مِنْ رُقْيَةٍ مُتَشَدِّقا
ما كاد يصبحُ بينهم   حتى غدا مُتَفَنِّقا
ومُلَقْلِقاً ومُبَقْبِقا   ذاقَ المَنون مُمَزَّقا

***

هذا المثال أتى يبصِّرُ مَنْ   للخير ينصح مَنْ عَمُوا قَلْبا
ألْقَى النصيحة للقرود فجا   ء الرَّدُّ دون ترفُّقٍ تَبَّا[1]
قد خاطر المَفْتون مُنْدَفِعا   فرأى جزاءً مِيتَةً ضَرْبا
بل إنَّ أمرَكَ قد أتى عَجَبا   فيكَ الصُّدودُ وزِدْتَهُ ذَنْبا
قد ساء قصدُكَ واجْتَرَمْتَ وما   حَسُنت صفاتُكَ حاسِدًا خَبًّا[2]
ومِثالُكَ المُخْتالُ   لوقيلَ فيك مِثالُ

قال المفكر دمنه
قل يا كلية كيف ذا

***

(١) تبا هلاكا .
(٢) الخب المخادع

الفصــــل السادس عشــر

الدوحــة الصــداحــة

قال الأديب كليله

خَبٌّ يشاركه المغفل فى التجا ... رة والمغفلُ كان يربح ظاهرا

طافا القُرَى سَعْياً وراء تكسُّب ... والخَبُّ يصرخ كيف أرجِعُ خاسرا

أَتَيا طريقاً فيه قامت دَوْحةٌ ... كانت تظَلِّلُ فى الهَجيرة عابرا

رَغِبَ المغفل أنْ يفىءَ لظلِّها ... وشريكُه المُحتال وَلَّى سائرا

بجوارها وَجَدَ المغفل صُرَّة ... فمضى يقلِّبُها ويصرخ هادِرا

فيها مئاتٌ مِنْ دنانيرٍ وكا ... دَ يُجَنُّ مِنْ سِحْرٍ تألَّقَ باهرا

ما كان يُدْرِكُ كيف يُخفى سِرَّهُ ... بل كاد يرقص فى ابتهاج طائرا

وصلَتْ إلى المُحتال صيحتُهُ فعا ... د مُهَرْوِلاً ومَضى يسائِلُ ثائرا

ماذا وجدتَ لنا هُنا ... إنِّى سبَقْتُكَ آمِنا

ولقد سمِعْتُكَ صائحا ... فأتيتُ أكْشِفُ مَكْمَنا

إنْ كان ما أخفَيْتَ يُو ... كَلُ سوف نأكله هُنا

أوكان ما وارَيْتَ يُشْـ ... رب سوف يَشْرب كلُّنا

لَزِمَ التَّقاسُمُ فى الغنا ... ئِمِ بالعدالة بيننا

عَجَزَ المغفل أنْ يُدارِى ناظرا ... وشريكه المُحْتال يَبْدو قاهِرا

أخَذَ الدَّنانيرَ اللَّئيمُ جميعَها ... مِنْ خَلْفِهِ سار المغفل صابرا

قَصَدا إلى بَلْدَتِهِا مُتَصاحِبَيْـ ... ن يكاد كُلٌّ أنْ يُساجل شاعرا.

وتوقَّفا قُربَ المديـ ـنة حين صاح الخَبُّ قِفْ

***

إنَّا قَرُبْنا للمدينهْ وَبَدَتْ لنا مثلَ السَّفينهْ
ولقد ملَكْنا ثَرْوة ويوَدُّ كُلٌّ أنْ تُعِينَه
ولذا فيلزَمُ الاختِيا سُ لها النُّفوس هُنا أَمِينَه
يا صاحِبِى هَلاَّ تُبَصِّـ رُنا بأفكار رَزِينه
والفِكْرُ يُنقِذُ صاحبا مِنْ كَبْوَةٍ ليسَتْ حَسِينه
لو جاء نحوك قادم فاصْمُتْ ولا تُنْهِ السَّكينه
لكنْ تُنَبِّهنى لأسْـ تُرَ عَنْهُ صُرتَّنا الثَّمينه
فالخير نُخفى أمر سِرٍّ فى جوانِحِنا الضَّمِينه
إنِّى عَزَمْتُ الآن أدْفِنُها فى مَأْمَنٍ بيدِى أُحَصِّنُها
لا إنسَ أوحَيَوانَ يلْمِسُها أو جِنَّ أو شَيْطانَ يخْبِنُها[1]

رَدَّ المغفل قائلا

أوضِحْ لقلبى ما ستفعَلْ هل أنت شاركت المغفلْ

فأجابه المحتالُ

إنِّى سأحفُرُ حُفْرَةً مِنْ أجْل صُرَّتنا الكريمهْ
فى ظِلِّ شاهدةٍ علـ ـنا دوحةٍ سَمَقَت مُقيمه

(١) يخبنها يخفيها .

واخفُز بنفسك إنْ شككـ ت وبئسَ نيَّتُك اللئيمه
فيـــا يُوارى المال كىْ تـرضى بأفعالٍ عظيمه

* * *

بالزَّيفِ والنُّكرانُ تَلهَزُنى بالشَّيْنِ بل بالعار تَلكزُنى(١)
وَتَعيبُنى زورًا وتلمِزُنى ظُلْما وبالبُهتان تَهْمِزُنى(٢)

رَدَّ المغفل قائلا

بل إعطِنى بالعدل أموالى حتى أرى بالعين أحوالى

فأجابه المحتال

إنَّا عَقَدْنا شِرْكَةً تجرى وِئاما لا خصاما
وهنا سنحفظُ فى الأما ن ذخيرةً لتعيشَ عاما

* * *

وإلى المغفل باليدَيْنِ ألقَى سِراعا قِطعَتين
ولنفسه ضَمَّ اليدين بقطعتين لِمَرَّتين

ومضى يقول بِبَسْمَتين

والآن كُلٌّ قد تملَّـ كَ حِصَّةً تكفيه شَهْرا

(١) لهزولكز ضرب ودفع .

(٢) لمز وهمز عاب .

لك مـثـل مـالى لا أريـد تمايـزًا فتراه غـدرا
وإذا رغـبـنـا عودة عُـدنـا فـهل حدثت صخرا
والآن فـاحـفُـرْ إنْ أردتَ ولا أظـنُّـكَ آبِـيـا

رَدَّ المغفل قائلا

إنِّـى سـأحـفُـرُ راضـيـا لـلـمال أشْـدو حـابِـيـا

وأجابه المحتال

وأنـا سـأحْـفُـرُ كـابِـيـا لـلـتِّـبْـرِ أُنشِـدُ بـاكـيـا[1]
والـحَـفْـرُ جَـدَّ ودارَ يُـخْـفى هـنـاك نُـضَـارا

صاح المغفل شاديا

عُدْ يا نُضار إلى تُرابٍ كُنْتَهُ سَكَنَ الزّمانُ لكل شىء تَحْتَهُ

الخَبُّ غَنَّى باكيا

لا يا نُضارُ فليس يجهلُكَ الزمان وما التُّرابُ بجَوْهَرٍ ساوَيْته

صاح المغفل شاديا

(١) كابيا منكبا على وجهه .

ياصاحبى دَعْ عنك ما عَلِمَ الزما ن فما الزمان بصاحبٍ لازَمْتَه

الحَبُّ غَنَّى باكيا

يالائِمى فى حُبٍّ مالوِ إنَّهُ نُورٌ لدُنْيانا أما أبصَرْتَهُ

صاح المخفل شاديا

وتساوَتِ الأقدار عند نهاية ليست تُفَضِّلُ رَبَّهُ أوحَبَّه[1]

الحَبُّ غنى باكيا

وتنوَّعَتْ أقدارُنا فى عَيْشِنا ذا فى النَّعيم وذا يُعَدِّدُ كَبْتَه

صاح المخفل شاديا

أتُسرابُكَ الأيام هَلاَّ عُدْتَها هيهات أين الأمسُ هَلاَّ زُرْتَه

الحَبُّ غَنَّى باكيا

أتذاكُرُكَ الساعات هَلْ ساءَلْتَها كيف السعادة فى زمان عِشْتَه

صاح المخفل شاديا

(١) الحت الكريم والعتيق .

فاخفِضْ جناحَكَ حينَ تَحفُرُ في التُّرا ... ب غداً تُوَسِّدُهُ وتَلْثِمُ صَمْتَه

الحَبُّ غَنَّى باكيا

كُنْ ما أستطعْتَ إلى العُلا مُتَزَوِّدا ... وبِقَدْرِ زادِ كُلُّ قَدْرٍ صِرْتَه

صاح المغفل شاديا

سَلْ عن صِحاب ذاهبين مع الزما ... ن فإنْ سألْتَ فسوف تعرِفُ وَكْتَه[1]

الحَبُّ غَنَّى باكيا

خَفْ يا فُؤاد مِنَ الصِّحابِ جميعِهِمْ ... قَبْلَ النَّدامة والبكاء ولَيْتَه

***

وهـــنـــا توارَى المالُ ... مـا عـاد بـعـدُ جِـدالُ

ومضى المغـفـل ضـاحـكـا ... وشريـكـه الـمُـخْـتـال

في الليل عاد الحَبُّ يَحْـ ... فُـرُ خـافِـيـاً يَـغْـتـال

أخـذ الـدَّنـانـيـرَ الـكـريـ ... مـة مـا نَـهَـشْـهُ خِـصـال

مَـنْ ذا يُـؤامِـنُ طـامِـعـا ... سـاءتْ لـديـه خِلال

***

(١) الوكت التأثير.

نـفِـدَتْ دنانير المغفل عاد للـ محتال يطلُبُ حِصَّةً مِنْ مالِهِ
فأجابه قد كنتُ أرقُبُ فُرْصةً وَشَكا كأن الصدق بعضُ خِصاله

***

ذَهَـبا معاً والحَـفْـرُ دارَ وَجَـدا تُـراباً لا نُضـارا
وتجادلا وتجاذَبـا وتلاحَيا وتَضـارَبـا

كُلٌّ لصاحِبِه يقولُ

يا أيُّـها اللِّصُّ اللَّئيمُ السارقُ أنت المخادِعُ والجبان الفاسِقُ
صَهْ أيُّها الشَّرِسُ الذَّميمُ المارِقُ مَهْ أيها النِّكْسُ الحقير النَّاهِق
قد كان يجدُرُ أَنْ يبادَ الناعِقُ لا أَنْ يُشارَكَ أو يعيشَ الدَّانِق[1]

***

وتشـاتما وتجافَـيـا وتلاعَـنـا وتلاحَـيـا[2]
دامَ النِّـزاعُ ومـا خَـبـا خُـلْـفـاً شـديـدًا نـاشِبـا
وتشـابَكـا وتـبـارَيـا وتـعـاركـا ونهاجَيا

***

وَيْـلُ المغفَّلِ مِنْ أَخٍ جَبَّارِ وَيْـلُ لخَبٌّ مِنْ أَخٍ ثَرْثارِ

***

وتشـاحَـنـا وتـعـادَيـا وتـطـاحـنـا وتماديـا

***

(١) الدانق السارق والأحمق .

(٢) تلاخيا تشاتما .

ذَهَبا معاً للقاضى هَرَباً مِنَ الإمْعاضِ[1]

***

كُلٌّ يقول ويقسِمُ خَصْمى اللَّئيم السَّلِتِمُ
لِصٌّ خسيس مُجْرِم والناس كُلٌّ يَبْسِم

***

وتَسَمَّع القاضى الكريمُ إليهما طَلَبَ الهدوء مُناقشا دَعْواهُما
وجرى اختصامهما صِراعاً واضطرا ماً واقتحاماً والتحاماً داهِما
وتَدَخَّلَ القاضى صِياحاً فيهما ليحِدَّ مِنْ جَلَبٍ وأسْهَبَ لائما[2]
بعد الهدوءِ مضى يقول مُفَهِّما العَدْلُ يأبى أنْ يُطيقَ تراجُما

هل فى القضية مِنْ شُهودِ

رَدَّ المغفل قائلا

مالى وأقوالِ الشهودِ الحق يَصْمُدُ كالحديدِ
وأشار نحو شريكهِ ناقِشْهُ بالفكر السَّديد

فتدخَّلَ المُحتالُ

هذا شريكى فى التجا رة مثلُ طِفْلٍ ظاهرا
وحقيقةً هُوَ مِنْ دها ءٍ قد تَلَبَّدَ جائِرا
ولسَوْفَ أذْكُرُ هاهُنا حَقاً وصِدقاً ما جرى

(١) الإمعاض أن ينزل به الغضب والمشقه.

(٢) الجلب الجلبه.

مــا عِشْتُ إلاَّ قــانِــعــاً أَبْــغى الــتـجـارة طـاهـرا

يَـوْمــاً دفَــنْـتُهــا صُــرَّةً وأنــا المغــفــل آخـرا

فى ظــل أكــبــرَ دَوْحَــةٍ فى الـقُــرْبِ تُـبْـهِـجُ نـاظرا

سَــلْــهُ سـيــذكُـرُ مـا جرى وأنــا ســأسـكت صـابـرا

قال المغفل ثائرا

كُنْ للحقيقة ذاكرا

فترافَعَ المُحْتالُ

الحق ما أَوْضحتُ صِدْقاً هاهُنا والنـاس تعرفُنى أميناً مؤمنا

هذا المغفل قد تسلَّلَ سارقاً فى الليل كَنْزًا كان شاعاً بيننا(١)

أخذ الدنانير الكريمة كلَّها لم يُبْقِ منها أىَّ شيءٍ يُقْتَنى

عَدِمَ الضميرَ وجاء يكذب إنَّهُ لمُخاتِلٌ أخذ الخديعة دَيْدَنا

* * *

إنْ شِئْتَ فَأْمُرْ تُسْأَلُ الشجرهْ حتى تـرى فى دِقَّـةٍ خَـطَـرَهْ

فلقد شَهِدْتُ الأمسِ أغربَ ما يُرْوى وأحلِفُ قَلَّ مَنْ نَظَره

لَـمـاَّ مَـرَرْت بها أُراقبُـهـا أَلْـفَـيْـتُـها نواَّحَةً ضَجِرَهْ

فسألتُـهـا عن سِرِّ لَوْعتِها فمضت تُوَلْوِلُ إنَّنى الخُفَره(٢)

وشريكك المحتال غافَلَنى بالليل واسْمَعْ واعِياً خَبَره

(١) شاعا مشاعا .

(٢) الخفره الخفير .

أخذ الوديعة خِفْيةً عَجِلاً   فى بَغْتَةٍ وكأنها ثَمَره
وأخافُ بالبُهتان تظلِمُنى   ولقد حَيِيتُ العُمْرَ مُقْتدِره
إنْ خِلْتَ أنّى غيرُ صادقةٍ   فانْظُرْ بعينك كى ترى أثَره
الناس هبُّوا صائحين فما   سمِعُوا بقول جاء مِنْ شجره
ما كان صاحُبنا بطلْعَتِهِ   أو سَمْتِهِ شَيْخاً مِنَ البَرَرَه
أوكان فيها قد بدا عَجَباً   فى قُوَّةٍ بالجِنِّ كالسَّحَرَه
فأبوه أفهمه يجئُ إلى الـ   قاضى بهذا الدَّفْعِ كالفَجَره
ومضى لباطِنِها وبات به   وكأنه الشيطانُ وأنتظره
وتكلم القاضى يحقِّقُ فى   صَبْرٍ دفاعا ساء مَنْ نَبَره[1]

وأتى قرار القاضى

هذا الكلام جوابه التحقيقُ   والصدق لا يَرْقَى له التَّلْفِيقُ
لو دوحةٌ نطقت نصدِّقُ ما يقو   ل وحَقَّ ضد السارق التمزيق

***

ذهبوا إلى الصدَّاحةِ الشجرهْ   وقلوبُهم مِنْ سِرِّها حَذِرَهْ
وتقدَّمَ المُحتال مُنْتفخا   مُتَكبرا ومُؤكِّدا خَطَره
وبكل حزمٍ قال للشجره   وكأنه فى قُوَّةِ السَّحَره
يا دوحةً للحق قد سَمَقَتْ   لم ترضَ بالكتمان إذ نطقتْ
هَيّاً أعيدى ما ذكرتِ وها   هُمْ يسمعون شهادة صَدَقَت

(١) نبره صاح به .

مَنْ جاء يسرق صُرَّةً خُبِئَت مِنْ حفرة بحِماك قد خَفِيت

* * *

فى الـــــــتَّـوِّ رَدَّ أبوهُ الســـارق الــمَــعْــتوهُ

* * *

المستحيل بدا وأصبح بينهم والخوف رَوَّعَهم وشتَّتَ جَمْعَهم
مَنْ ذا يُطَمئنهم وَيَرْجِعُ وَعْيَهم مَنْ ذا يهدِّئهم ويحكم بينهم

وأتى قضاء القاضى

فلتُشْعلوا حَطَباً يُطَوِّقُها لوكان فيها الجِنُّ نَحْرقها
حتى تـبـيـدَ فلا يَـبِـينُ لها ساقٌ ولا غُصْـنٌ يُـنَـمِّـقُـهـا
فرمَوْا عليها النار فى هَلَعٍ وتصايحوا والنار تَسْحقها
خرج الذى فى جَوْفِها فَزِعاً ومع الرِّياحِ مضى يُسابقها

* * *

ورأتـه أعـيـنُـهـم فـقـا لوا فى هِـيـاجٍ ذا أبوه
وتـبـسَّـم الـقـاضى وردَّ دَ فى هدوءٍ كَـبْـكِـبُوه
جـاءوا بـه مُتدافـعـاً كُـلٌ يُـنـادى أدِّبوه

* * *

وأتت مِنَ القاضى العدالةٌ آمِرا بالخَبِّ يُضربُ راكبا مَشْهورا[١]

(١) مشهوراً شهره فى شنعة .

وأبيهِ يُصْفعُ فى مُقابلِ جُرْمِهِ   أَدَباً لمَنْ يَرْضى الشهادةَ زورا
والمالُ يدفع كُلُّهُ لمُغفلِ   فأشاع حكمٌ لا يرَدُّ سُرورا

***

وأراكَ دمنةُ إنَّ قلبكَ ليس يرغبُ خيرَنا
ولقد أطلْتُ النُّصحَ ليتكَ كنت دمنةُ مُؤْمِنا
عبثاً أبصِّرُ طامعا أخذ الوقيعَةَ دَيْدَنا
زرعت يداهُ الشَّوْكَ مُسْتَرًا وخِزْىٌ ما جَنى
بين الصِّحاب يَبيتُ مَمْقوتا ويفقدُ مأْمَنا
وإلى الغُرورِ يسير فى خُسْرٍ ويهْوِى بينَنا

***

مهما تمزقَ حُرْقةً صدرى خوفاً عليك فأنت فى نُكْرِ
وأراكَ تقطُرُ جَهْلا فيما فعلت وقولا
إنِّى بقربكَ خائف اذ لا أرى لك عقلا

***

تبدو بوجه أو بوجهَيْنِ ما عدْتُ أعرفُ أو بقلبين
ساءت صفاتك نِيَّةً وفِعا لاً أنت شَرٌّ فاقَ شَرَّين
بل انت كالأفعى وليس سِوا ها بيننا تَسْعى بنابَيْن

في شَأْن حالِكَ قالوا

إياك والأفعى تمسّحها والخير في قبرٍ تُفرّحها

ولمثل حالك قالوا

الصاحب المحمودُ مَنْ فضلُهُ مشهودُ
يأتيكَ مِنهُ العلم أو يلقاك منه الجود
إنْ لم تُفِدْ مِنْ جوده فبعلمه ستشيد
أوكان حظُّكَ منه جو دًا فالكريم حميد
وأراك رائدُكَ الضَّلا ل وما أراك تحيد
الحُمْقُ فيك شديد واللُّؤْمُ فيك مَزيد
ولقد أضعتَ العمر في خَبَلٍ وكيف تُعيد
أنظُرْ لنهر حيث يلْ قى البحر فيه يَبِيد
ولقد أسأتَ إلى الملـيـ ـك وما نهتْكَ عُهود
وغدا سيلعنُكَ الملـيـ ـك وصحبَةٌ وجنود
عَذْبُ المياهِ وقد تغيَّ رَ كيف بعدُ يُفيد
وعليك يصدُقُ قول ذاك التاجر في وجهِ خائِنَةٍ لئيمٍ غادرِ[1]
بلَدٌ بها الجِرْزان كالنِّـ ـيران مِيرَتُها الحديدُ
ألفاً مِنَ الأرطال وَزْ ناً لا تقلُّ وقد تزيد

(١) خائنة خائن .

فَــبْــزاتُــهــا لا غَــرْوَ كــالــ أفــيــال تــرهَــبُــهــا الأسود
لو أنَّـــهـــا طــارت بشَــيْــخٍ لا بــطــفــل مــا الجديــد

قال المفكر دمنه

قل يا كليلة كيف ذا

* * *

الفصل السابع عشر

آكلو الحديد

قال الأديب كليله

مَثَلٌ جرى عن تاجر ... وَرِثَ الدَّهاء عن الجدودِ
رغب الرحيلَ تَطَلُّعا ... للربح يبحث عن مَزيد
وأَعَدَّ رَحْلاً فيه خير ... تجارة مثلُ العُقود
وأراد يُبْقِي غُرَّةً ... مِنْ مَعْدِنِ البَأْسِ الشديد
زِنَةً تُعادلُ أَلْفَ رطل ... بالتَّمام مِنَ الحديد
فأتى لجارٍ كان فو ... قَ الظَنِّ مِنْ زمن بعيد
ومضى يكيل له المديـ ... ح وكاد يُنْشِدُ بالقَصيد
حتى رأى أَثَرَ المديـ ... ح بوجهِ صاحبهِ الحميد
يبدأ البيانَ لِما يُريـ ... دُ ببسمة القلب السعيد
وبكلِّ لِينٍ قال يَرْ ... جوهُ بمنطِقِهِ السَّديد

***

يا صاحبي يا خيرَ مَنْ ... يَحْمي متاع الغائبِ
يا واهبي فَضْلاً سيخـ ... لُدُ في زمان ذاهب
إنِّي سأرحل للتجا ... رة في المكاحِلِ والعُقودِ

وأَوَدُّ لو أُبْقِ بــــــبـــــيـ تِلكَ ما لــدَىَّ مِـنَ الحديـد
إِنِّـى أَلُـوذُ بـعــطف قـلـ بك لـيس فضـلُكَ بالجديد
قد عِشْـتَ أَهْلَ تُقىً تَـأَتَّـ ى مِـنْ قَـديـمٍ عن جدود

فأتاه رَدُّ الصاحبِ

يــا صــاحِبِى هـبـات الحديـ دَ وكُـنْ قَـوِيــاً كـالحديـدِ
ســافِـرْ ورحـلُكَ سوف يُسْـ بَـقُ عـنـد خـطوِكَ بـالورود
فــأتـــاه فورًا بـــالحديــد مـتـبــاعِدَيْـن عن الشـهود

***

بعد التجوُّلِ فى المدائن والقرى قد عاد يمشى ناعِماً مُتَبَخْتِرا

وأتى يطالبُ بالحديدِ

فأتاه رَدُّ الصاحبِ

فَـلْــتســألِ الـجِـرْذانَ منهـا عَـدِمَتْ أمـانـا

سَمِنَتْ على أكْلِ الحديدِ

***

قـد كــان تـاجـرُنـا دوا مـاً صـاحبَ الفِـكْـرِ السديدِ
فــأجــابـه والوَجْـهُ يَضْـ حك فى ابتهـاج كـالسعـيد

حَقاً هِىَ الجِرْذان يعرِفُها كشبيهَةٍ للنار مُنْصِفُها
أَنْيابُها كالسَّيفِ مُشْرَعَةٌ تَفْرى الحديدَ وليس يُتْلِفُها

* * *

وبِذا اطمأَنَّ وما اسْترابَ الخائن فى أَنَّ صاحبَهُ غَبِىٌّ أَرْعَنْ
لو كان يَدْرى ما حقيقَةَ فِكْرِ صا حبِهِ لكان الغِرُّ حَتْماً يَحْزَنُ
قبل المجئ إليه لا حَظَ فى الطريق ابنَ الصديقْ

* * *

كالصَقْرِ كانت عينُ ذاك التاجِرِ وتذَكَّرَ ابنَ الخائنِ المُتَجاسرِ

* * *

فمضى إلى الطفلِ الرقيقْ والعينُ تلمعُ بالبَريقْ
متجنِّباً مَنْ فى الطريقْ وبرِقَّةِ العَمُّ الشَّفيقْ

واراهُ بالثَوبِ الصَّفيقْ[1]

وبخفَّةٍ مِنْ فَوْرِهِ رَفَعَ الصَّبىَّ لِصَدْرِه
رهْناً لعَوْدَةِ دَثْرِه قبل الرُّجوعِ لقَصْره[2]

* * *

وأتى إليه السارقُ هذا الدَنِىُّ الدَّانِقُ[3]
متصابِحاً وكأنه فى بحر دمع غارق

(١) الصفيق جيد النسيج.
(٢) الدثر المال الكثير.
(٣) الدانق الاحمق والسارق.

يـــا صـــاحِبِي هَلاَّ أتـــا ك وهـل رأيتَ ابنى الصُّـــبَىْ
ى الصـــبح حين أتـيتَ كـا ن لـدىَّ يـلعب كـالـظُّـبَىْ

فأتاه رَدُّ التاجرِ

لــهْفِى عـلـيكَ رأيْتُ أَبْـوازا خطفت كَـلَـمْحِ البَرْقِ بَزْبازا [١]
لو كـان طفلَكَ هـاتِ أوْفازا واسرعْ بها لـتجوبَ أَنْشازا [٢]

***

جاء الكلام مُؤَدَّباً للصَّـاحِـبِ فـأجاب فَـوْرًا بأعترافٍ كاذِبِ
يـا صـاحِبِي جِــرْذانْ بَــيْـ تِى ســدَّدَتْ ثَمنَ الحديـــد
خُـــذْهُ وهــاتِ الـطـفـلَ لا ذُقْـتَ افْـتِـقـادًا لـلـوَلـيد

ومضى يقول كليلةْ

تَـبـاً لـعـقـلِكَ دمـنـهْ لـيست تُـظِـلُّكَ فِـطْـنَـهْ
فـلـقـد غَدَرْتَ بصـاحب وكـأن قـلـبَكَ دُجْـنَـه
خـطـأٌ حـديثى فالحديـ ث إلـيك دمـنـةُ فِـتْـنَـه
هيهـاتَ قُـرْبٌ مـنك يُؤْ تى رحـمـةً أو غُدْنَه [٣]
مَـنْ يـأمن العَدْوى غَدَرْ ت بـه ومـات بـطَـعْـنَـه
أو بـاءَ بالعَدْوى فَفِى الـ أُخْـرى سـيـفـقـدُ جَـنَّـه

***

(١) الابواز النسور البزباز الغلام الكثير الحركه .
(٢) الأوفاز العجلات . الانشاز الأمكنه المرتفعه .
(٣) الغدنة النعمة

يـاخِسَّـةً حَـطَّتْ بـقـلـب لا يُـؤَدِّبُـهُ رقـيبُ
كـالـنـار تَـعْصفُ بـالـفضـائل كيف فى عَيْشٍ تَطِيب
الـبـعـدُ عـنك عِـبـادةٌ ولـكَـنْ تجانِـبنى الـخُـطوب
هَـيْـهـاتَ نُصْـحٌ يُـرْتَـجى والنُّصْحُ عـنـدَكَ لا يُصِـيب
أَجْـرَيْتُ قولى فى خلاء لـيس يُـدْرِكُ أو يُـجيب

***

أَنْـهى كليلةُ قولَـهُ والسـبـع أنهى فِـعْـلَـهُ
قـد مـات شتربـةٌ وعـاد السـبـعُ يسـأل عـقـلـه
مـاذا جـلـبْـتُ بـغضَـبَى ماذا جـنـيْـتُ بضَـرْبَتى
قد كـان شتربةٌ ذكـياً ناصِـحا ولعلَّـهُ مـا كـان ضِـدِّى قادِحا

***

يـالـيـتَـنى فيما سـمِـعْـتُ وإنْ تـكـاثَـرَ ما غضبْتُ
إنِّـى بما فَـعَـلَـتْ يـدا ىَ بـه خسِـرْتُ ومـا كَـسَـبْتُ

***

ومضى يـنـوح وقـد شكا نَـدَمـاً وحُـزْنـاً بـل بـكى
وإذا بـدمـنـةَ قـد أتـاه مسلِّما ومـهـنِّـئـاً بـنِـهـايةٍ مُـتَـبَسِّما

قال المفكر دمنه

مولاى تَـرْعـاك السعادةُ دائما أمـا الـعَـدُوُّ فـقـد تحطَّـمَ آثِما

قال المليك لدمنه

نَدَمِى على القلب الرَضِّىْ ‌ ‌ ‌ ‌ أَلَمِى على الخِلِّ الوَفِىْ

قال المفكر دمنه

مولاى لا تُطِعِ النَّدا ‌ ‌ ‌ ‌ مة كيف يندَمُ سالِمُ
هذا عدوُّكَ قد تلقَّـ ‌ ‌ ‌ ‌ اه فَنَاءُ قاتِم
وقد انْطَوَى بدَهائه ‌ ‌ ‌ ‌ وأتى عليه الهادم
مها وَدَدْتَ فلن يوَدَّ ‌ ‌ ‌ ‌ ك مَنْ لبُغْضِكَ كاتِم
خيرا فعلتَ مع العَقو ‌ ‌ ‌ ‌ دِ فأنت بَعْدُ الغانم
لا نَفْعَ يُرجى مِنْ عدوٍّ ‌ ‌ ‌ ‌ كيف يُرْجى ناقِم
الأفْعُوان إذا أصا ‌ ‌ ‌ ‌ بك هل ستمكُثُ راضيا
أَوَ كُنْتَ لا تَسْقيه رَثْـ ‌ ‌ ‌ ‌ ماً وانتقاماً قاسيا[1]

***

سَمِعَ المليكُ لقَوْلِهِ ‌ ‌ ‌ ‌ وأتى الزَّمانُ بِحَوْلِهِ[2]
فبدَتْ حقيقةُ فِعْلِهِ ‌ ‌ ‌ ‌ وجرى القضاءُ بقتله

وكذا الجزاءُ لمِثْلِهِ

(١) الرثم دق الانف .

(٢) حوله حذقه واحتياله .

فهرست

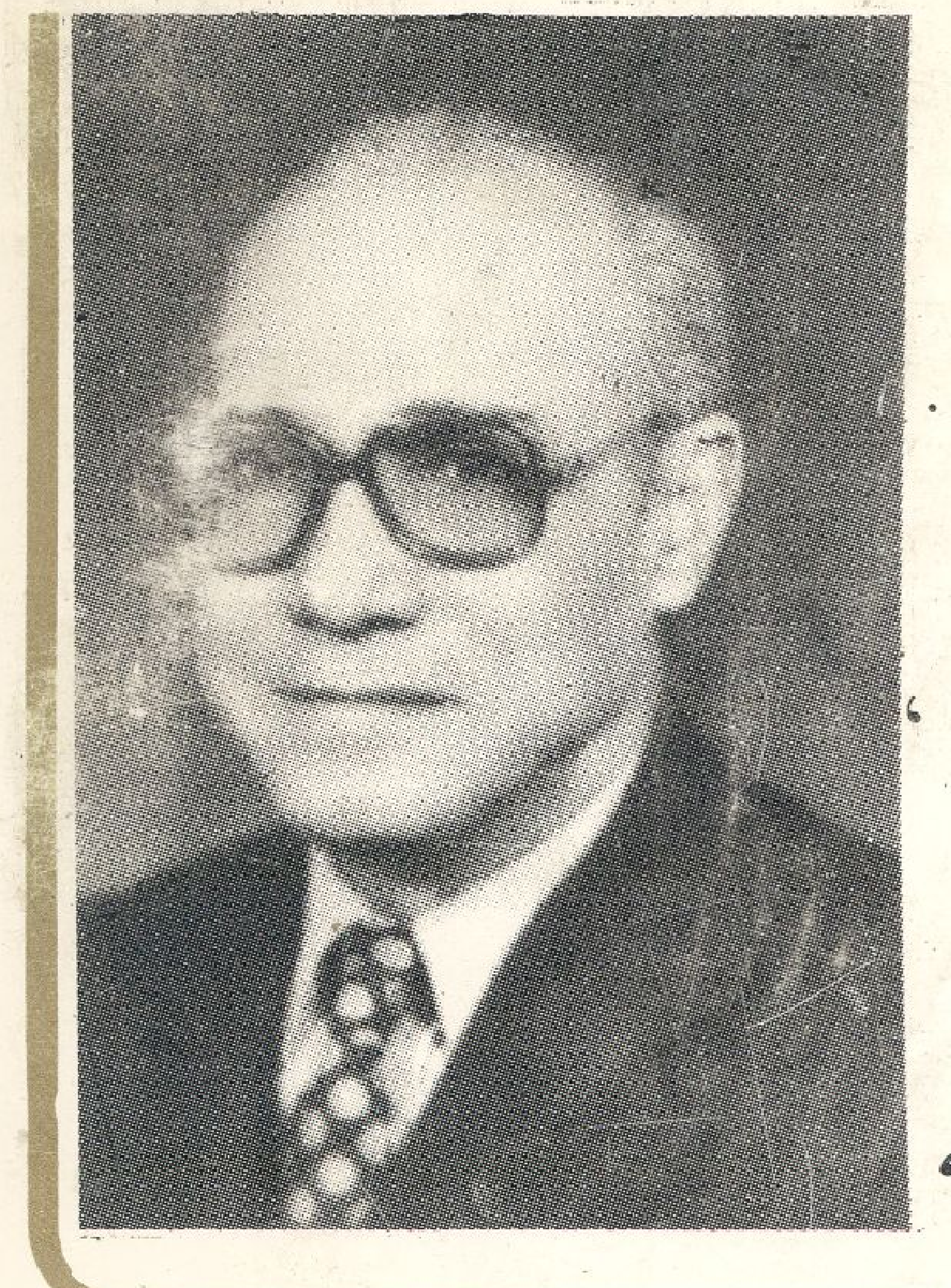
مطابع دار الباز للطباعة والنشر

تليفون : ٩٠٦١١٧

رقم الايداع فى دار الكتب

٨٧/٤٩٦٦

قالوا عن هذه الملحمة
قبل طبعها



مصطفى الصياد

« قطعة الذهب تعمل هى قطعة الذهب كيفما شكلتها أيدى الصائغين .. بل انها تزداد بهاء إذا ما تصاعدت مع الزمن مهارات المبدعين وكان هذا هوالذى حدث لجوهرة أبدعتها قريحة الهند وترجمتها قدرة العرب ، ثم تناولها فى مصر من نظمها عقدا حباته لؤلؤات من الشعر . »

الدكتور : زكى نجيب محمود

« اما صاحبنا الصياد ففعل مثل ما فعل صاحب كلية ودمنة وزاد بأنه بلغة شعرية ناطقة بأسلوب مهذب رفيع وبشعر رصين مكين . »

شاعر السعودية الأديب الشيخ

عبد الله بن خميس

« جاء الأستاذ مصطفى الصياد فقام بمحاولة فريده من نوعها لا بالنسبة لكتاب كليلة ودمنة بل بالنسبة لقضية الشعر العربى كلها . »

الدكتور : عبد النعيم محمد حسنين
(جامعة الأزهر)

« لقد وقف الأستاذ الصياد ازاء هذا العمل التراثى كليلة ودمنة وجها لوجه فى نصاعة عقلية . ووضوح بصيرة... يستقرىء عبقرية الشعر العربى وموسيقاه عبر العصور

الشاعر الدكتور عبد العزيز شرف
مجلة القدس مارس ١٩٨٧

« هذا حدث أدبى يجب أن نقف امامه إنتباها ..!

الأستاذ : عبد التواب عبد الحى

مجلة المصور ١٦ يناير ١٩٨٧